روايات أحلام

رجل في عينيها

www.liilas.com
Aml
www.liilas.com

Aml
روايات أحلام
www.liilas.com

رجل في عينيها

وقعت ديلسي في الحب مرة، وعرفت معنى الألم عندما انتزع الموت خطيبها ديرك منها.. ولهذا قررت ألا تقع في الحب مرة أخرى..

لكن براد ليندن لم يعتد أن يطلب إذناً عندما يريد قلب امرأة، وخافت ديلسي من قدرته الرهيبة في السيطرة على مشاعرها، ومن ضعفها الداخلي الذي تشعر به نحوه، ومن طيفه الذي لاحقها حتى في أحلامها..

قال له عقلها: لستَ إلا بديلاً، وهتف قلبها: لا تصدق!

لكنه صدّق ولم يكن براد ليندن رجلاً يرضى بأن يكون بديلاً عن أحد..

Aml
www.liilas.com

١ ـ أشياء لا تموت

حالما دخلت ديلسي بيلامي من الباب الأمامي لاحظت ما طرأ على أخيها من تغيير.. لقد ذهب الرجل الحزين المنطوي على نفسه، الرجل الذي تركته خلفها منذ أسبوعين، وحل محله الأخ الأكبر الذي تذكره منذ طفولتها.

قالت تمازحه، وهو يجرّ كرسيه النقّال إلى الأمام ليريحها من حمل حقيبتها:

ـ تمكنت أخيراً من هزيمة وحشك البرّي؟

ـ تقريباً.

لم يكن الوحش البري المذكور إلا جهاز كمبيوتر متطور اشتراه أخوها منذ فترة وجيزة أما هي بصفتها سكرتيرة له فقد أمضت خمسة عشر يوماً وهي تتعلم سبل استعماله. ولعل أكثر ما يريده أخوها حالياً من هذا الجهاز وصله مع أجهزة أخرى في جميع أنحاء العالم. وهذا ما يجعل ديلون نفسه على علم يومي بالوضع الاقتصادي في العالم. قبل الحادث المدمر الذي سلب ديلون قدرته على المشي، وقتل زوجته هيلين، وخطيب ديلسي، ديرك، كان ديلون جزءاً من عالم الاقتصاد.

لقد ولّى هذا كله مع أمور كثيرة أخرى. أصبح ديلون متعداً

لا يستطيع السير أكثر من خطوات محدودة بدون مساعدة. إن صحته الراهنة لا تساعده على العمل في عالم الاقتصاد، ولا تؤهله لتحمل أعباء ذاك العمل وضغوطاته. أصبح الآن يعمل من بيته، يكتب مقالات لعدة مجلات اقتصادية، ويحضّر كتاباً هو مزيج من الواقع والخيال، وأساس مادته ذلك العالم الذي كان يعرفه.

كان شراء الكومبيوتر فكرة ديلسي.. التي حاولت القيام بآخر محاولة لرفع معنويات أخيها من مستنقع الاكتئاب الذي غلّفه منذ موت هيلين.. لكن الواضح لها وهو يدخلها إلى غرفة الجلوس، في منزله اللندني، أن شيئاً قد حدث أثناء غيابها، فأعاده تقريباً إلى حالته المعهودة سابقاً.

سألته وهي تجلس: «أين كيلي؟».

أثّرت المأساة في الجميع منذ أدت إلى وفاة شخصين وإلى إقعاد ديلون. ولعل أكثر من عانى من هذه الفاجعة ابنة أخيها، ففي ساعة واحدة تحطم عالمها الصغير، قتلت أمها، وأصيب أبوها إصابة كادت تودي بحياته أيضاً.

لذا ليس من المستغرب أن تصبح علاقتها بكيلي قوية في الأسابيع الأولى على الحادثة. لقد تعلقت كيلي بها جسدياً، ولكنها عاطفياً كانت هي من تعلقت بالفتاة الصغيرة.

ما زالت الحادثة، رغم مضي أكثر من سنة ونصف، حية في قلبها وعقلها فما زالت تذكر ضحكة هيلين وهي تنطلق مع الرجلين لتقلهما إلى المحطة للحاق بقطار كامبردج.. كان ديرك، خطيبها في الجامعة مع ديلون الذي تمّ التعارف عبره، حيث كانا يحضران دورات كومبيوتر جديدة.. أما هي وديرك

فكانا يقضيان نهاية الأسبوع مع أخيها وعائلته.. لقد قررا الزواج بعد أسابيع على إنهاء دورة الكمبيوتر.

وقعا في الحب إنما بعد فترة طويلة على تعارفهما. ولكن أحلامها وآمالها تحطمت فجأة في ظهيرة يوم مرعب. في ذاك اليوم لم تقلق عندما تأخرت هيلين فقد ذكرت المسكينة أنها ستستغل وجود ديلسي في المنزل مع كيلي للقيام ببعض التسوق.. لذا عندما فتحت الباب الأمامي إثر طرقة على الباب فرأت رجل الشرطة كان آخر ما خطر على بالها أن تكون حادثة ما قد وقعت.

في البدء لم تجعلها الصدمة تعي الحقيقة، فكيف تفكر للحظة أن هيلين الجميلة المرحة التي يحبها شقيقها بجنون وأن ديرك الرائع الذي بعث الحياة إلى عالمها قد ماتا، ولكن هذا ما حدث.

حملت كيلي، وتوجهت إلى سيارة الشرطة ومن هناك إلى المستشفى حيث تركت كيلي في عهدة ممرضة لطيفة وبعد ذلك اقتيدت إلى غرفة فيها أطباء متجهمو الوجوه، حاولوا أن يشرحوا لها لماذا يستحيل عليها رؤية أخيها.

بعد ذلك، مر أسبوع من الذهول يقطعه نوبات حادة من الألم الذي لا يطاق. في تلك الحادثة فقدت حبيبها وزوجة أخيها فأصبحت هي وشقيقها بمفردهما، لقد مات والدهما إثر نوبة قلبية وهي في سن المراهقة، أما أمها فأذبلها المصاب فماتت ما إن بلغت ديلسي التاسعة عشرة.

كانت وظيفة ديلسي في عالم السكرتاريا محترمة ولكنها كانت قد تركت العمل قبل فترة على موعد الزواج.

www.liilas.com

لم تعانِ على الفور من مشكلة مالية إذ كانت تملك مدخرات سحبتها لتعيل نفسها وكيلي ولم تكن تريد الاقتراب من مال ديلون الذي كان مرضه يمنعها من إزعاجه بأمور كهذه.

عندما اتضح للأطباء أنه سينجو ترددوا كثيراً في السماح له بالعودة إلى منزله وطلبوا أن يمضي وقتاً في مركز تأهيل، ولكن ديلسي أصرت على أنها قادرة على رعايته، والواقع أنها حاربت كثيراً لإرجاعه إلى منزله.

بعد الجنازة، عرض أهل هيلين على ديلسي رعاية كيلي ولكن والدي المرحومة عجوزان وهذا يعني أنهما غير قادرين على العناية بفتاة في الخامسة من عمرها. هكذا وجدت ديلسي نفسها تلعب دور أم كيلي البديلة ورفيقة ديلون وممرضته. والواقع أن هذا الدور الذي لعبته أعطاها سبباً للعيش.

في الأشهر الستة الماضية طلب ديلون منها في أكثر من مناسبة الخروج وإقامة علاقات مع أصدقاء جدد خاصة منهم الرجال.. ولكن عالم الرجال انتهى من حياتها إلى الأبد، فقد أصبح قلبها الذي كان مفعماً بالحب والحرارة بارداً بل ميتاً. ولعلها لم ترغب في استبداله بسبب الخوف ربما، الخوف من أن تحب شخصاً ثانية فتفقده مرة أخرى أو بسبب شعورها بأن الشخص الوحيد الذي أحبته وستحبه إلى الأبد هو ديرك.

عندما كانت جالسة قبالة أخيها، لفتت نظرها رسالة على طاولة القهوة. وما إن قرأت العنوان وعرفت أن المرسل محامي أخيها حتى توتر جسمها.

لقد بدأت منذ الحادثة معركة قانونية طويلة تدور بين محامي ديلون وبين من كان السبب في وقوع الحادثة. تجد ديلسي

نفسها حتى الآن غير قادرة على التفكير في اسم جايسون براونلي بدون أن تتدفق المرارة إلى قلبها.

في المرة الأولى التي اقترب فيها منها لم تكن تعرف هويته.. ولكن الشرطي قال لها ببساطة إنه سائق السيارة الضخمة القوية التي هشمت سيارة هيلين الصغيرة. كان جايسون براونلي مقاولاً، في ذاك اليوم كان عائداً وزوجته من حفلة غداء. لقد أكد ديلون أنه من كان يقود السيارة ولكن الرجل أنكر ذلك أمام الشرطة مدعياً أن زوجته من كانت تقود لأنه كان ثملاً.

لم يكن هناك شهود على الحادثة غير ديلون الذي لا يمكن اعتباره محايداً.. ومع أن ديلسي متأكدة أن الشرطة يصدقون أخاها، إلا أن جايسون براونلي على ما يبدو سينفذ من العقاب، ولن يكون هناك إلا تهمة موجهة ضد قيادة زوجته المتهورة.

أكدت شركة التأمين الذي يشترك فيها ديلون أن النفقات تقع على ذلك الرجل في كلتا الحالتين إذ على أسرة براونلي أن يدفعوا نفقات الأضرار الجسيمة.. ولكن عجرفة الرجل، وتمكنه من تجنب أية مسؤولية، هي ما أزعجت ديلسي بمرارة.. إنها مقتنعة أن أخاها على حق عندما قال إنه شاهد جايسون براونلي يقود السيارة الضخمة. بدا لديلسي أن جايسون هو من الرجال الذين يرون أن ثراءهم فوق يد القانون، لذا من الخطأ ألا يعاقب جايسون براونلي، ومن الخطأ أن تضطر زوجته إلى تحمل اللوم..

قال لها ديلون عندما شاهد عبوسها: «يريد براونلي تسوية الأمر خارج المحكمة، ويعتقد المحامي ماكنزي أن عليّ القبول».

www.liilas.com

راقب الوجه الحزين وما فعلته الأشهر الثمانية عشرة الأخيرة بأخته.. كانت ديلسي فتاة جميلة، أما الآن فأصبحت امرأة جميلة تحدق بها هالة من الألم. لقد غدت العينان الزرقاوان اللتان ما كانت البسمة تفارقهما مغلفتين بالضباب، وبدا شعرها الأصهب الأحمر وكأنه فقد بريقه ورونقه، أما جسمها فنحل. شعر بعقدة الذنب فجأة، فقد كان غارقاً في عالمه الخاص بحيث لم يلحظ أن مأساته كانت مأساتها أيضاً.

قال لها رداً على سؤال سابق:

ـ طلبت من السيدة تريسكوت الاعتناء بكيلي بعد الظهر، فأنا أريد محادثتك.

وصمت.. شعرت أنه يحس بإثارة شديدة تجاه شيء ما، فعلى وجهه النحيل بريق سعادة لم تره منذ أشهر وفي عينيه الزرقاوين حماساً قوياً، كان يوماً جزءاً لا يتجزأ منه.

التقط مجلة جميلة المظهر مفتوحة على إعلانات الأملاك. كانت دائرة حمراء مرسومة حول إعلان محدد:

ـ انظري إلى هذا.

قرأت ديلسي الإعلان ببطء: «للبيع منزل صيفي، قسم منه ذو طراز قديم بحاجة لإصلاح، وحول المنزل مساحة واسعة وحدائق خاصة».

علقت ديلسي: «إنه مثالي ولكنه بعيد عن الطريق العام أليس كذلك؟»

يشير العنوان إلى أن موقع المنزل في «دورست» وهي منطقة نائية، فقد ترعرعا في طفولتهما في مكان يبعد عشرين ميلاً عن القرية المذكورة في الإعلان. رفعت بصرها فرأت التعبير

المطبوع في عيني أخيها، فاتسعت عيناها غير مصدقة:

ـ ديلون.. أنت لا تفكر في شرائه.. أليس كذلك؟

ضحك: لا أفكر فيه فحسب بل قررت.. قبل أن تبدئي بالاعتراض سأشرح لك ما يدور في رأسي.. لقد اتصلت بالوكيل في الأسبوع الماضي، ورتبت معه مسألة الذهاب لرؤية المكان. ورافقني دايف كولينز.. تعرفينه، إنه أحد أصدقائي من كامبردج وهو الآن صاحب وكالة أملاك كبيرة في لندن.. أردت منه أن يعاين المكان وقد تأثر كثيراً به. أساس المنزل متين ولكنه بحاجة إلى تصليح ولعل أفضل ما فيه هو أبنيته الخارجية التي تصلح أن نحولها إلى شقة كاملة مكتفية بذاتها.. لقد سئمت النوم في غرفة الجلوس..

ـ لكن.. ديلون.. إنه يبعد أميالاً عن أقرب مكان.. هو معزول كل الانعزال..

قاطعها: «هذا ما أريده ديلسي.. هيلين هي التي كانت تحب العيش في لندن.. وطالما فكرنا في مغادرة المدينة، أما اليوم فلا عائق يعيقني. أستطيع العمل هناك على جهاز الكمبيوتر من «كرفت إند» ثم فكري في كيلي.. وفي نفسك. أما كنت تحلمين دوماً بالعيش في الريف حيث الورود حول المنزل؟»

كان يمزح ولكنها تعرف أن لما يقوله بذور في الطفولة. كانت وظيفة والدهما تتطلب السفر الدائم لذا تاقت إلى الأمان الذي قد يوفره جو قرية صغيرة.

ـ لكن كل تلك الأرض..

ضحك ديلون..

ـ ليست الأرض وحدها، بل معها حمار وهرتان، وكلب.

www.liilas.com

فهقه عالياً عندما شاهد تعابير وجهها:

- إنها قصة حقيقية.. كانت الأملاك لسيدة عجوز غريبة الأطوار، اشترطت على محاميها ألا يباع المنزل والأرض إلا لمن يقبل الاعتناء بحيواناتها وعلى ما يبدو أنها اشترطت كذلك ألا تباع إلى جارها القريب.. الذي تحد أملاكه أرضها، وصاحبها هذا ذو مركز بين أهل «كروفت إند» وهو مالك أكبر منزل في المنطقة.. وله مركز مثمر لإنبات الزهور للحدائق، من الواضح أنه بائع جملة، ويريد أن يمتلك الحقل المتصل بالمنزل، لتوسيع أعماله.. ولكن حسبما روى السمسار أن بينه وبين الآنسة داغ عداوة ما أدت إلى وضعها ذاك الشرط المتعلق بعدم بيعه المنزل تحت أي ظرف. أما مال المبيع فسيعود ريعه إلى جمعية الرفق بالحيوان.. وعلى ما يبدو أن لا أحد غيرنا مهتم.. فالمكان غير رخيص الثمن، وهو بحاجة إلى إصلاح ضروري فالمبنى مسجل في جمعية الحفاظ على الآثار.. لكن بالمال الذي سأجنيه من بيع هذا المنزل، سأتمكن من الحصول عليه.. في ذاك المنزل حديقة ضخمة، فيها حديقة خضار وأشجار فاكهة.. طالما تمنيت العودة إلى الطبيعة. أتذكرين؟

عرفت ديلسي أنه يريد بيأس الذهاب إلى هناك. إنها المرة الأولى التي يكون فيها متحمساً منذ وفاة هيلين ولكنها ما زالت دهشة مصدومة بهذا الخبر ولا تعرف ما تشعر.

لكن هناك أمر واحد هي متأكدة منه وهو مرافقتها ديلون وابنته إلى حيث أراد، فهو وابنته السبب الوحيد لحياتها. كان الثلاثة وحدة عائلية صغيرة، متراصة، وإن رغب ديلون في دفن نفسه في قرية نائية في مكان يبدو شبه مدمر، فهي مستعدة

لمرافقته.

سحبت نفساً عميقاً ثم رسمت ابتسامة مرتعشة.

- حسناً.. أرجو أن يكون فيه كهرباء، وإلا فلن يكون لهذه المعدات الغالية الثمن التي طلبتها فائدة.

ضحك ضحكة عميقة، ومد يده يداعب شعرها.

- أجل.. فيه كهرباء يا أيتها المتشائمة الصغيرة. وليس هذا فقط، فهناك مولد كهربائي قديم في الكاراج. لا أعرف إن كان صالحاً، ولكن إن لم يكن أستطيع تسلية نفسي بتفكيكه إلى أجزاء، ثم إعادته من جديد.

ضحكت ديلسي: أجل.. وعندئذ سيفتقد أجزاء كثيرة فيه.

تذكرت العديد من الراديوات والتلفزيونات المفككة التي ملأت كاراجهم وهم في عهد الطفولة.. لا شك أن ليس بالإمكان ترك ديلون مع عدة «قطع غيار».. ولكنه، ينجح دائماً بتشغيل الآلات.

قال بهدوء: «أعلم أنك صدمت.. ولكنني واثق كل الثقة أنني أقوم بالقرار الصحيح ديلسي.. أريد منك أن ترافقيني.. ولكن إن شعرت أنك غير قادرة على مرافقتنا سافرت أنا وكيلي».

أجبرت ديلسي نفسها على الظهور بمظهر الجذلي:

- سأرافقكما، متى ستنتقل؟

- ليس قبل شهرين.. لقد كلفت دايف بتنظيم العمل الأساسي الذي يجب أن يتم.. ستصبح الأملاك أملاكنا في نهاية هذا الشهر. يعتقد دايف أنه سيمر شهر آخر قبل أن نستطيع الانتقال.. أما الديكور والأثاث، فأترك لذوقك الاختيار. سيأتي

www.liilas.com

ديف فيما بعد مع خرائط تظهر ما سيكون عليه بعد أن تعيد ترميمه.

- ألا أستطيع الذهاب لرؤيته قبل هذا؟

هز رأسه وقال مبتسماً:

- أفضل ألا تذهبي. يبدو المكان خالياً مدمراً ولو رأيته في حالته الراهنة لرفضت الانتقال إليه.

- لكن ماذا عن الحيوانات؟

- سيتم الاعتناء بها حتى انتقالنا. القطتان نصف بريتين، والكلب يجيد الاعتناء بنفسه والحمار يقوم بإطعامه أحد الجيران مرتين في اليوم.

تنام كيلي في الغرفة المجاورة أما هي فتنام في الغرفة الإضافية.. أما ديلون فينام في الطابق السفلي مكان غرفة الطعام.. في سرير خاص.. مع أنه يستطيع القيام بكل الأشياء إلا أن ساقيه ضعيفتان بحيث يعجز عن تسلق الدرج. لم تشلّه الحادثة ولكن بسبب العمليات الجراحية الكثيرة التي أجريت له سيبقى إلى حد ما غير قادر على الحركة، مع أنه مع الوقت قد يتمكن من السير إنما سيظل مضطراً إلى استخدام الكرسي المتحرك في بعض الأحيان.

عندما غرقت في النوم عادت إلى مخيلتها صور من عالم طفولتها ممزوجة بصور أخرى، منها منزل ريفي يعود إلى القرن السابع عشر.

ترى ماذا قد يتوافق مع أحلام مراهقتها؟ أحلام أسدل النار عليها مع دخول ديرك إلى حياتها..

لكن.. ماذا عن الجار العنيد؟ ذلك المحترم الذي بنوا

تقريباً مركز المختار، ذلك الرجل الذي اشترطت العجوز ألا يشتري أرضها أو منزلها؟

لا شك أن في كل جنة حية خاصة بها.. ذكرت ديلسي نفسها وهي على وشك أن تغفو متصورة رجلاً فظاً سميناً سيء الطباع كجايسون براونلي.. هل يتحكم بزوجته كتحكم جايسون براونلي؟

قبل أن تغط ديلسي في النوم أخيراً استدعت صورة ديرك الحبيب.. وهو تقليد دأبت على القيام به كل ليلة، كالصلاة. وكالعادة شعرت بهول ما خسرت، وشعرت بعينيها الجافتين تحترقان أكثر مما لو كانتا دامعتين.

ليته لم يمت! وليتها تزوجته وحملت طفله قبل وفاته! ولكن ما نفع التمني بعد فوات الأوان.

* * *

www.liilas.com

٢ ـ خيانة جسد

صاحت كيلي بحماس تسأل عمتها التي ترجلت من مقعد السائق لتقف قربها:

ـ واو! أليس رائعاً عمتي ديلسي؟ يشبه الرسم الذي أرسله لي جدي في عيد الميلاد..

كان الطريق الوعر الذي يفضي إلى المنزل يرج سيارة ديلسي الصغيرة بعنف، من جانب إلى آخر. ابتسمت قليلاً متسائلة حتى متى ستتحمل سيارتها، هذا الطريق.

كانت كيلي على حق على أي حال: كان الحصى الأبيض، وروافد المنزل الخشبية السوداء والحديقة الغنية بالزهور ترسم صورة خيالية أشبه بمنظر على بطاقة بريدية.. قادهما ممر ضيق مرصوف بالآجر إلى باب مفتوح..

لقد سبقهما ديلون إلى المنزل الجديد مع ديف، تاركاً ديلسي وكيلي وراءه حتى يجهز البيت بعض الشيء ولتشرف ديلسي على متعهدي نقل الأثاث.

لم تكن شاحنة الأثاث المقفلة قد وصلت فتساءلت ديلسي كيف سيسير سائقها على الطريق غير المعبد.. ولكنها رغم كل ذلك لن تستطيع التذمر من الموقع أبداً: هاهنا حقول خضراء،

لا تقطعها إلا أراضي حرجية تنتشر على ثلاث جهات من جهات المنزل.. أما الجهة الرابعة، فكانت الزريبة المسيجة التي فيها الحمار الذي لفت نظر كيلي.. في الجانب الأبعد قرب الزريبة حائط، لا شك أنه الحد الفاصل بين أرضهم وأرض جارهم الوحيد.

كانت ديلسي قد مرت بالقرية قبل أن تتخذ الطريق المؤدي إلى المنزل.. وهذا الطريق يبعد ميلاً عن القرية. من المؤسف أن يكون أقرب جار لهم هو ذلك الإنسان البغيض، ولكنها هزت كتفيها تبعد الفكرة عنها. دفعت البوابة الصغيرة ففتحتها ثم دفعت كيلي للسير أمامها على الممر المرصوف بالآجر.

كان ديلون بانتظارهما في الداخل.. رآته ديلسي واقفاً دون أن يستعين بالكرسي النقال، يبتسم لهما.

جعلت الجدران المطلية العاجية اللون، والروافد الظاهرة ديلسي تصيح سعادة.. كانت الأرض الحجرية تحت أقدامهم، منحوتة مصقولة مع الزمن.. لم تكن الردهة مفروشة ولكن ديلسي تصورتها مكسوة بالسجادة العجمية التي اشترتها هيلين في أول عيد ميلاد بعد زواجها بديلون..

تلوى درج ضيق نحو الطابق العلوي أمّا النور فانصبَّ على الردهة من نافذة واسعة، أمامها مقعد يتسع لكيلي.

قال ديلون: «تعالي إلى غرفة الجلوس.. من حسن الحظ أن كل شيء قد تجهز في الموعد المحدد.. أخبرني ديف أن البنائين عملوا حتى وقت متأخر من الليل لإنهاء كل شيء.. يجب أن أعترف أنهم قاموا بعمل ممتاز. انتظري حتى ترى المطبخ الذي سيكتمل بعدما أضيف إليه موقداً».

www.liilas.com

قال ديلون:

- ما إن بدأ العمال العمل حتى اكتشفوا هذه المدفأة التي كانت متوارية خلف بعض الألواح.

وقف جانباً لتتمكن ديلسي من إبداء إعجابها بالمدفأة التقليدية الضخمة. كانت الجدران كجدران الردهة مطلية بلون عاجي يتضاد بشكل صارخ مع عوارض السقف السوداء. الغرفة كبيرة بشكل مدهش، لها نوافذ في كلا طرفيها.. تطل النافذة الخلفية على الحدائق التي ما إن نظرت إليها ديلسي حتى حبست أنفاسها من فرط جمالها.

امتدت خلف منطقة الباحة المرصوفة أرض وعرة غنية بالخضار والزهور الريفية التقليدية..

- بإمكانك استكشاف كل شيء في وقت لاحق. هيا أكملي جولتك وألقي نظرة على سائر أرجاء المنزل.

كان الطابق الأرضي من المنزل ممتداً ليشمل ما كان مرة مجموعة متنافرة من أبنية ملحقة بالمنزل. وها هي الآن غرفة جلوس مريحة تشمل مكتبة لديلون، وغرفة نوم كبيرة الحجم، وحماماً مجهزاً خصيصاً له. وهناك أيضاً مكتبة صغيرة غير تلك التي لديلون وغرفة طعام ومطبخ جهز أحسن تجهيز.

في الطابق العلوي كان هناك ثلاث غرف نوم، وحمام. إحدى غرف النوم، صممت لكيلي.

أما الغرفتان الأخريات فكانت جدرانهما عاجية اللون لتتمكن ديلسي من اختيار ما تشاء لديكورها.

قالت له ضاحكة: «إنه جميل ديلون».

- نعم هو جميل رغم الطريق الوعر الذي يفضي إليه.

الواضح أن الجار الذي يملك المكان المجاور أراد أن يعبد الطريق ولكن الآنسة داغ لم توافق. كانت تحب خلوتها، وحافظت على حال الطريق لتبقي الزائرين غير المرغوب فيهم بعيداً عنها. يريد براد ليندن تعبيد الطريق، لأن الزبائن الذي يقصدونه يجدون صعوبة في استخدامه، خاصة في الشتاء.. إن هذا الطريق يفضي مباشرة إلى خلف أملاكه.

قالت ديلسي بسخرية: «وبما أنه يعتبر نفسه المختار المحلي فهو يرفض أن يبلغ عامة الشعب باب داره».

رفع ديلون حاجبيه قليلاً:

- لا أظن الأمر كما تقولين.. ولكن مركز النباتات الزجاجي ومكتبه قريبان مما كان قسم الاسطبل، وإلى هناك يفضي هذا الطريق. المنزل نفسه، وحدائقه الرئيسية مفتوحة للعامة في أيام معينة من الأسبوع. لم أشاهدها ولكن من الواضح أنها مكان جميل مُعتنى به جيد. إن بوب جاكسون، محامي الآنسة داغ، لا يكن للرجل غير التقدير.. وأعتقد أنه يعتبر بأن تصرفها غير منطقي تجاهه.. كانت أسرة براد ليندن تملك هذه الأراضي لكن عمه باع معظمها. أخبرني جاكسون أن براد، قام بالأعاجيب في المكان.. يبدو أنه تخلى عن مهنة واعدة جداً، من أجل مركز النباتات وعلى ما يبدو أنه أراد هذه الأرض ليوسع عمله.

قالت ديلسي بعدائية:

- همم.. لا أظنه سيسر بوجود جيران فقد ظنّ على الأرجح أنه سيشتري هذا المكان بسعر بخس بعد موت الآنسة داغ.. لا شك أنه أصيب بالصدمة بعد اكتشافه ما تضمنه الوصية.

بدت على ديلون الحيرة:

www.liilas.com

- ماذا دهاك؟ من يسمعك يظنك قابلت الرجل فعلاً فكرهته.
- أعرف أمثاله
عبس ديلون، ثم قال بهدوء:
- ديلسي.. أعرف في ما تفكرين.. ولكن حسبما سمعت أنه مختلف عن جابسون براونلي تماماً.. لو كان رجلاً بلا ضمير لوجد بسهولة طريقة للالتفاف على وصية الآنسة داغ. حالما وصلت وجدت سلة بيض وبعض الحليب والخبز مرسلة منه. أظنك تتصورين وكأنه غول، لا تنسي أنه أقرب جيراننا. وسأكون شاكراً له مساعدته خاصة إن كان هذا الغاب خارجاً خطراً كما يتراءى لي! لقد وجدت بركة فيها سمك ذهبي في آخر هذه المرجة.. سنضطر إلى تغطيتها بشيء، فلا أريد المخاطرة إذ قد تقع كيلي فيها. وبمناسبة الحديث عنها، أين هي؟
- تكلم الحمار.. أين القطتان، والكلب؟
- عند جارنا. لقد عرض رعايتها بعد جنازة الآنسة داغ.. آه.. أسمع صوت شاحنة ربما هي شاحنة نقل الأثاث.. سأتركك تتعاملين معهم.. على فكرة، لقد دعوت ديف للعشاء الليلة.

هزت ديلسي رأسها باختصار.. مهما كانت ريبتها بشأن انتقالهم إلى هنا، فقد رأت بأم العين التحسن الذي طرأ على أخيها. كان يتكلم ويتحرك بحماس وهي صورة عن ديلون القديم اشتاقت إليها كثيراً، في العام الماضي.

إن ما يرعبها إدراكها مدى اعتماد كيلي وديلون عليها ولكنها بحاجة أيضاً إليهما، فمن أجلهما تعيش.

دمرها موت دبرك.. كانت فتاة هادئة وأصبحت الآن فتاة شديدة الانطواء على ذاتها، غير قادرة على التعامل مع ما تعرضت إليه من ظلم. كان دبرك منطلقاً منفتحاً، ولقد أحبته حباً ملأ عليها عالمها كله. إنها حتى الآن لا تفهم كيف لتلك الحيوية كلها وذاك النشاط كله أن يولدا هكذا ببساطة.. في بعض الليالي، كانت ترى في منامها أنه عاد إليها.. وأن ما عليها إلا أن تمد يدها لتلمسه.. ثم تستيقظ متألمة بعد كل حلم.

مؤخراً طلب منها ديلون في عدة مناسبات الخروج لبناء حياتها من جديد، وكان قصده بذلك أن تجد رجلاً آخر، لكن ديلسي غير راغبة في رجل آخر. كانت راضية بحياتها. لديها ديلون وكيلي وهما كل ما تريده في الحياة.. لم تكن راغبة في الوقوع بالحب مجدداً والحقيقة أنها تخشى ألم الحب إن حدث أن فقدت من تحبه مجدداً.. لا.. إنها سعيدة هكذا.

لقد التقت ديف في عدة مناسبات.. كان لطيفاً وأعجبت به كثيراً.. لكن، إن كان يخطط إلى جمعهما..

توقفت شاحنة النقل خارجاً فخفت إلى الباب الأمامي، مسرورة بوجود ما يصرف تلك الأفكار. فهي تكره الخوض بعمق في مشاعرها.. لأن هذا يؤلمها كثيراً. لقد عانت من الألم بما فيه الكفاية لذا لا تتصور نفسها قادرة على تحمل المزيد.

فيما كانت تعطي التعليمات إلى العاملين ألقت نظرة إلى الزريبة المسيجة لتتحقق من سلامة كيلي وهي عادة طبيعية اكتسبتها في الفترة التي اعتنت بالفتاة الصغيرة. وكم تكره اليوم الذي ستدخل فيه إلى المدرسة ولكن عليها الاسترخاء وعدم نقل

www.liilas.com

مخاوفها إلى ابنة أخيها. لقد كلم ديلون مدير مدرسة القرية الصغيرة التي ستلتحق بها في نهاية العطلة الصيفية. فنظراً لصغر سنها، تقرر ألا تبدأ بالدراسة قبل ذلك التاريخ، بحيث تبدأ مع من هم في مثل عمرها، فالمدارس لا تقبل التلامذة في سن الرابعة.

إذن، أمامها الصيف كله للاستمتاع بصحبة أخيها وابنته. عندما كانت تنظر إلى كيلي، لفتت انتباهها الحدود الحجرية، فذكرها الجدار بجارهم الذي لا يريد ديلون أن تعاديه بدون سبب.. تعرف هذا. ولكن الرجل لا يعجبها حتى قبل أن تتعرف إليه. إنه لشعور غير منطقي، لكنه موجود في أعماقها.

* * *

كانت كيلي مستلقية في فراشها الصغير، تقول بتوسل:

- قصة أخرى، أرجوك.

يحق الله؟ من أين يأتي الأولاد بهذه الطاقة كلها؟ أذعنت ديلسي لطلب ابنة أخيها.. ها هي كيلي مشرقة، فيما هي لا تكاد تمسك عينيها. لقد ذهب العمال منذ مدة بعدما وضعوا كل قطعة من الأثاث في مكانها.. ديلون في مكتبه مع ديف يتناقشان خطط المستقبل.. لقد أصرّ الرجلان على مساعدتها بغسل الصحون بعد العشاء.. مع أنها وجدت ديف لطيفاً، إلا أنها ابتهجت عندما اعتذرت بحجة إخلاد كيلي إلى فراشها.

الآن.. لا تريد إلا النوم.. لقد كان يوماً طويلاً، شاقاً. فالمنزل أكبر من منزل ديلون اللندني. ستضطر قريباً إلى شراء أثاث إضافي وسجاد، لقد كانت مشغولة كثيراً فلم تستطع استكشاف الحديقة، وهذا ما ستفعله غداً. فهي تميل إلى

الحدائق وتشغف بها.. في طفولتها نافت كثيراً إلى حديقة خاصة بها، ولكن والديها لم يعيشا قط في مكان واحد مدة طويلة فلم تستطع مراقبة البذور التي كانت تبذرها.

وعدها ديلون أن تكون الحديقة منطقة حكمها وها هي الآن تتصور حديقة مثمرة.. كان ديرك يمازحها بشأن حلمها بأن تصبح زوجة ريفية مشغولة.. إذ كان مستقبله في المدينة، لذلك هجرت طوعاً أحلام طفولتها وشاركته أحلامه. ولكن الحديقة المحيطة بالمنزل الريفي الصغير، تعطي حياتها هدفاً جديداً.

عندما أوت إلى فراشها، وقفت طويلاً تنظر إلى الظلام بصمت.. لا سيارات.. لا زحام سير.. لا شيء.. إنها نعمة كبيرة.. ستستيقظ غداً باكراً وتستكشف الحديقة. فجأة أحست بإثارة طفولية.

* * *

لفت نظرها بريق برتقالي وراء الخضرار الزنبق، فانحنت لتلقي نظرة عن كثب وكم اغتبطت عندما رأت سمكة. إنها الساعة السادسة والنصف. لقد استيقظت في الخامسة.. ولأنها لم تستطع حرمان نفسها من متعة الاستكشاف، تسللت إلى الطابق الأرضي بثوب نومها القطني، حافية القدمين.

كانت السماء قبة زرقاء شاحبة يحدها اللون الليموني لأن الشمس بدأت بالارتفاع. وكانت الحديقة هادئة.. ارتفعت السمكة إلى السطح، تبحث عن طعامها وعيناها المستديرتان تراقبان ديلسي بهدوء ولا مبالاة.. ديلون على حق في أمر واحد: يجب أن تغطى هذه البركة بشيء ما، لتكون كيلي آمنة.

امتعضت عندما قرر ديلون نزع جذورهم من لندن.. لكنها

www.liilas.com

بعدما رأت المنزل والحديقة تشعر بأنه أصاب في قراره. ابتسمت ثم استقامت متوجهة إلى الخلف ولكن أنفاسها غادرت رئتيها حالما اصطدمت بشيء صلب دافىء.

ـ احذري!

التفت أصابع بنية قاسية حول معصمها.. أرسل صوت الرجل من ورائها موجات من الأحاسيس انطلقت إلى ظهرها، فانتزعت معصمها، واستدارت إليه والغضب يستعر في عينيها.

كان قريباً منها بحيث اضطرت إلى رفع رأسها مسافة طويلة لتتأمل وجهه.. ويا له من وجه! وجه رقيق، أسمر، ملؤه الرجولة، ولكنه لم يعجبها كائناً من يكون.. إنه رجل أكثر مما ينبغي، واثق من نفسه ساخراً.. كانت عيناه الرماديتان تنظران إليها نظرة اقشعرت لها بشرتها.. كان ينظر إليها نظرة رجل إلى امرأة مثيرة ومرغوبة، وهذا ما صدمها.. أغضبتها جرأته في توجيه نظرات كهذه إليها، وأحست بحنجرتها تضيق غضباً.. ألا يعرف أن لا حق له بالنظر إليها على هذا النحو؟ إنها ملك ديرك.. ديرك الميت الذي لن ينظر إلى امرأة والرغبة في عينيه.

غمرها ألم متصاعد متوتر، جعلها تتكمش من الاهتمام غير المتوقع الذي أظلم عينيه.. امتدت يده، فأبعدتها، ترتجف غضباً وكراهية.

ـ ما الأمر؟

كان صوته خفيضاً وملحاً.. عندما شدت يدها تريد تحريرها من أصابعه التفت أكثر إنما بنفاد صبر. توترت خاصة بعدما لاحظت فجأة مدى ضعفها ومدى الخطر الذي قد تتعرض إليه. إن غلالة نومها القطنية لا تستر جسمها كثيراً.. لقد نسيت

أنها لا ترتدي شيئاً مناسباً.. ارتفع اللون الحار إلى بشرتها الشاحبة. نظرت إليه نظرة تطلب فيها أن يتركها فوراً. كانت عيناه تتأملانها. لم يسبق أن نظر إليها أحد بمن فيهم ديرك هذه النظرة المكشوفة. وأحست بنوبة اشمئزاز.

سألت بصوت أجش: «من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟»

كان يرتدي جينزاً باهتاً مهترئاً، وكما قميصه مرفوعان فكشفا عن ساعدين مكسوين بشعر أسود.

قال لها: «أنا جاركم.. شاهدتك تقفين قرب البركة عندما كنت ماشياً على الطريق، ففكرت أن أقدّم نفسي».

إنه يهزأ منها.. احترقت بشرتها من الخجل فلم تكن تدري أنها مكشوفة للعيان هكذا. إن بمقدور من يمر بالطريق رؤيتها. وكأنما عرف ما تفكر فيه، فقال بعذوبة:

ـ لا تقلقي، إن الطريق لا تفضي إلا إلى ممتلكاتي والواقع أن لا أحد سواي يستخدمها في مثل هذا الوقت من الصباح.

ـ لست قلقة.

أسخطها تلميحه وقدرته على قراءة أفكارها. وهذا أمر آخر تكرهه، فلا يحق له أن يقرأ أفكارها.. كان ديرك الرجل الوحيد المسموح له بهذا.. من الإجحاف أن يكون هذا الرجل المتعجرف حياً، فيما ديرك.. تصاعدت حشرجة امتعاض إلى حلقها. لقد سبق أن راودها هذا الشعور إنما ذلك فقط في الأسابيع الأولى على موته. كانت تمتعض كلما رأت شاباً حياً وكان ذاك شعوراً غير منطقي أبداً.. ولكن هذا الإحساس تلاشى مع الزمن.. لذا أزعجها أن يحييه هذا الرجل من جديد. نظرت إليه راغبة أن يتركها ويرحل..

www.liilas.com

- أنت لست ودوداً وأنا أتساءل عن السبب؟

كان يراقب مشاعرها المتراكضة على وجهها..

ردت عليه بحدة: «ربما لأنك لا تعجبني».

ارتفع الحاجبان الأسودان.. كان شعره أسود كثاً.

قال: «حقاً؟ لكنك لا تعرفينني.. أليس كذلك؟»

زاد مرحه ونسليته من غيظها.. فقالت مغتاظة:

- لا أريد أن أعرفك.. والآن هلاَّ سمحت بترك ذراعي..

- بعد لحظة.

فقد مرحه الآن.. بل الواقع أن نظرة تثير الاضطراب برزت في عينيه.. بان لها أن غضبه غير مكبوت كما اعتقدت.. دنا منها يحشرها بينه وبين البركة لئلا تتمكن من الهرب.. ارتفعت أصابع يده الأخرى بخفة على ذراعها فأرجفتها لمساته وراحت تراقب عينيه المليئتان بالمشاعر فيما أحنى رأسه..

أدركت مرعوبة أنه سيعانقها.. إنها لا تفهم ما يجري، لكنه كان يجري.. أرادت أن تدفعه عنها وتهرب منه. ولكن، بسبب خوفها، رفض جسمها التجاوب لإرادتها والأنكى إنه أخذ يتجاوب معه.. وفي هذا الوقت كانت ذراعاه تحكمان الطوق عليها لتجذباها إليه.

احتوتها يداه واستقرتا على خصرها قبل أن تتحركا وهو يصدر أصوات رضى صغيرة أمام خدها.

كان ديرك الرجل الوحيد الذي أرادت معه أن تتذوق مباهج الحب.. ولكنه انتزع منها قبل أن يكتمل حبهما.. والآن وبا للصدمة كان جسمها يريد الراحة من الإحباط والحرمان مع هذا الرجل الذي تضمها ذراعاه.

سمعته يتمتم بشيء. رفع رأسه ينظر إلى عينيها الحائرتين الضعيفتين.. أظلمت المشاعر عينيه فرحب بها كيانها مع أن عقلها وقلبها نفرا منها.

قال بصراحة وصوته مرتجف وأجش:

- يبدو أننا حصلنا على أكثر مما فكرنا فيه.

لم تستطع ديلسي غير التحديق فيه، وملء وجهها صدمة منعتها من الرد. راقبته بذهول أبله يرفع يده ليمرر أصابعه على وجهها. أما يده الأخرى فكانت تشدها إليه من جديد.. وأذهلها هذا، خاصة أنه لم يحاول إخفاء مشاعره.. كانت على حق عندما قالت لديلون إنها لن تعجب به.. وهذا أمر واضح، فوقاحته مع النساء؛ الوقاحة التي عبرت عنها تصرفاته، جعلتها تحتقره أكثر فأكثر.

- لا.. لا.. أرجوك، لا تفعل هذا..

خنقت الدموع الكلمات المتلعثمة الخارجة من فيها، كانت دموعاً تبلل بشرتها دون أن تدري.. جعلتها نظرة عينيه وهو يتركها على مضض ترتجف بعنف.

قال بصوت أجش: «أريدك».

وكأنما تصدمه كلماته بمقدار ما تصدمها هي، إذ كانت عيناه تسجلان صدمته من عنف تصرفه وصدمته من المشاعر التي اشتعلت بينهما.. ولكنها عرفت أن هذا غير صحيح.. فعلى أي حال، هو من بدأ بكل هذا.

راعها ما حدث، فكيف تسمح لهذا الرجل البغيض بمعانقة حميمة لم تسمح بها من قبل إلا لديرك وحده.. ولعل أكثر ما لم تقبله هو استمتاع جزء منها بالحرارة التي كان يبعثها إلى

www.liilas.com

أعماقها. ولو كانت صادقة مع نفسها لاعترفت أنه أثار شوقاً ملحاً فيها، فكان ذلك الرد المتمرد منها.

ارتدت إلى الوراء بعيداً عنه والإشمئزاز يلوح على شفتيها.. تركزت عيناه على وجهها، بدا وكأنه شخص يخرج من غيبوبة مخدرة، وراقبت صدمته على ما فعل، تظهر على ملامحه..

هز رأسه وكأنه يحاول التوضيح:

ـ أنا..

لكن دبلسي لا تريد سماعه.. لقد عرفت أنه بدأ بمعانقتها عقاباً لها، فلم يكن يريد إلا عرض تفوقه الرجولي على الأنثى، ولكنها لا تريد تفسيراته مهما كانت.. فلا شك أنه سيجد وسيلة ليلومها على ما حدث. اندفعت من أمامه بمرارة، متجاهلة طلبه بالبقاء وهرعت إلى المنزل.

لم يلحق بها، أقنعت نفسها أنها مسرورة لهذا، ولكن جزءاً صغيراً منها كان له شعور آخر، ربما هو خيبة أمل.

كانت نافذة غرفتها تطل على منظر للحديقة رائع، ولكنها لم تنظر إلى الخارج لتتأمل المنظر البهيج بل جلست على السرير، تغطي وجهها بيديها، يغمرها إحساس بالاشمئزاز أقوى من إحساسها بالقرف.

ماذا أصابها بحق الله؟ إن هذا الرجل نموذج عما لا تحبه في الرجل، إنه من طينة جايسون براونلي، متعجرف متسلط، يظن نفسه السيد المطلق، وفوق القانون.

مع ذلك.. بين ذراعيه..

ارتجفت في أعماقها.. إن سبب استجابتها له هو الإحباط

الجسدي.. لقد حزنت عاطفياً حزناً عميقاً على ديرك فنسيت أن جسمها يشعر بالشعور ذاته.

عندما التقت بديرك لم تكن تعتبر نفسها امرأة تثار بسهولة. ففي مراهقتها كانت ترفض تحرشات زملائها الخرقاء.. لكن مع ديرك، كان الأمر مختلفاً. كان أكبر منها بست سنوات وكان ذو خبرة في الحياة.. لم يحاول دفعها إلى علاقة لم تكن مستعدة لها.. وعندما خطبها شعرت بأنها مستعدة لتنفيذ ما يريد لو أراد ولكنه حافظ عليها ولم يمسّها.

رفعت يديها عن وجهها، ووقفت تتأمل نفسها في المرآة.. كانت نحيلة نظراً لطولها وجسمها هذا مشتاق لديرك لذا استجاب بلهفة إلى.. شخص آخر.

اجتاحت موجة من الخجل كيانها.. ولكنها لم تكن وحدها من تعرضت لهذا الطوف من المشاعر المحمومة.. فلقد وقع هو بين براثنها أيضاً. شعرت غريزياً بأنه رجل لا يستسلم بسهولة إلى إهوائه.. إنه رجل، يرغب أن يكون مسيطراً على نفسه وعلى الوضع الذي يجد نفسه فيه. لذا لم تكن مخطئة عندما ظنت أنها رأت الصدمة والدهشة في عينيه؟ ولكن هل تجاوبها هو ما سبب صدمته؟ وأحست ببشرتها فجأة تكاد تحترق حرارة.

تناولت ملابسها ثم هرعت إلى الحمام.

الساعة الآن السابعة والنصف، وهذا يعني أن كيلي ستستيقظ قريباً وعندئذ سيطلب دبلون الفطور. إن جلّ ما عليها فعله هو رمي ما حصل خلفها وتناساه.. ولكن هل الفعل كالقول.

من المثير للسخط أن تضطر للاعتراف بأنها تجاوبت مع رجل غريب عنها كلياً.. لم تكن تفكر حتى الآن في مسألة

خسارتها الجسدية. وها هي الآن، فجأة، تشعر بأن مرارتها وكراهيتها، وسخطها منصبة كلها على رجل اسمه براد ليندن.

ما هو حقه في البقاء على قيد الحياة فيما ديرك ميت؟.. ما هو حقه في أن يلمسها بالطريقة التي بات فيها ديرك غير قادر عليها؟.

خرجت شهقة نحيب من حلقها وهي ترتدي ثيابها.. إنها تكرهه.. تحتقره.. ستحاول ألا تراه ثانية وستكون حذرة كيلا تلقاه ولو لقاء عابراً، لن تمنحه فرصة أخرى لمفاجئتها كما حدث اليوم.. لا شك أنه مسرور بانتصاره عليها.. نسيت أمام مرارتها الجديدة أنها منذ عشر دقائق فقط اعترفت بأنه هو أيضاً أذهله ما حدث كما أذهلها تماماً.

لا ريب أن هوايته المفضلة، التجول لتجميع ذكريات انتصاراته على النساء.. فما دام يملك ذلك المظهر الجذاب وذلك الجسم القوي.. أوقفت أفكارها عن الاسترسال.. تكره الاعتراف الذي فرضه عليها جسدها.. إنه بهي الطلعة وسيم.. وماذا في هذا؟ هذا لا يغير كرهها واحتقارها له.

ربما كانت مخطئة بشأنه.. همس فيها صوت داخلي خوّان.. قد لا يكون جايسون براونلي آخر على أي حال؟

وماذا يهم؟ إنه حي وديرك ميت.. وهي تكرهه وتشمئز منه بسبب هذا الواقع وحده!

* * *

٣ ـ خيوط الخوف

عندما توقفت سيارة في الخارج كانت ديلسي في غرفة الجلوس في صباح اليوم التالي، تجثو على قدميها ويديها تقيس مساحة الأرض لشراء السجاد الجديد.

التفتت إلى خارج النافذة عابسة فجمدها صدمة رؤية الرجل المترجل بخفة من لاندروفر قديم..

كان ديلون لحسن الحظ في الحديقة الأمامية يتحدث مع كيلي، وهذا سيؤخر دخول الزائر.

لا شك أن روح الفضول التي جعلته هذا الصباح يتسلق حدودهم هي التي تدفعه الآن إلى هذه الزيارة.. حثت الخطى نحو المطبخ ساخطة، تأخذ مفاتيح سيارتها وحقيبتها.

أكدت لنفسها أنها لا تفعل شيئاً لم تخطط له. ركبت السيارة ثم انطلقت بها. لقد سبق أن ذكرت لديلون هذا الصباح أنها بحاجة إلى مؤن للمطبخ تملأ بها الخزانة.. وقال لها إن في القرية دكاناً صغيراً يبيع كل شيء، وأن أفضل ما تفعله هو الذهاب إلى «دورشستر» للتسوق.

تبعد البلدة عشرين ميلاً.. وهي مسافة كافية ليغادر الزائر المنزل قبل وقت طويل من عودتها.. سرتها الطريقة الماكرة التي

تجنبت فيها مقابلته.. لا تنكر أنها لن تستطيع تجنبه إلى الأبد، ولكن إن فكر أن ما حدث هذا الصباح قد يجعلها ترحب بتحرشات أخرى تبدر عنه، فعليه بسرعة أن يتخلص من الفكرة.

ارتفعت الشمس في كبد السماء وأصبح الجو حاراً. ما إن وصلت إلى الطريق الرئيسية، حتى توقفت لترفع غطاء سيارتها. إلى يسارها القرية التي مرت بها يوم أمس، وإلى يمينها؟ عبست وهي ترى الأشجار الكثيفة والجدار الأحمر الذي يقبع وراءهما منزل براد ليندن.. ما شكله يا ترى؟ هذا ما لا تعرفه وما لا تريد أن تعرفه، أقنعت نفسها بحزم وهي تدير السيارة في الاتجاه المعاكس.

من الواضح أن الحياة في الريف تسير ببطء لا تعرفه لندن. هذا ما أدركته في أثناء التسوق، فحتى في السوبر ماركت الكبير، كانت البائعات يأخذن وقتهن للتحدث إلى زبائنهن.. وما إن اعتادت على هذا حتى وجدت ذلك لطيفاً. أخذت تعيد المشتريات مجدداً في العربة الصغيرة، ثم جرتها نحو السيارة.

ولأنها لم تكن على عجلة من أمرها أمضت نصف ساعة تجول في «دورشستر» تشتري المجلات والقصص والكتب لها ولديلون ولكيلي.. كان الوقت قد تجاوز وقت الغداء عندما انطلقت وفي نفسها شعور بعقدة الذنب.

كان في البراد بعض السلطة واللحم البارد. ولا شك أن ديلون قادر على تحضير وجبة له ولابنته، أما هي فستعوض عليهما في وجبة المساء. ومن أجل عشاء خاص، اشترت كمية كبيرة من سمك السلمون الطازج، وما لا يأكلونه تضعه في البراد.

عندما أصبحت على مقربة من المنزل زال توترها وليس ذلك فحسب بل راحت تسخر من نفسها قليلاً بسبب خوفها من براد ليندن.. ماذا سيفعل بها الرجل على أي حال؟.. أهذا الجزع كله بسبب مجرد عناق؟ لم يعانقها رجل منذ زمن لذا من الطبيعي أن تكون ردة فعلها أمراً مبالغاً فيه.

عندما انعطفت من الطريق الرئيسي إلى الطريق الفرعي الوعر كانت تشعر بالراحة والهدوء غير أن هذا الشعور تلاشى حالما انعطفت، واضطرت إلى كبح سيارتها بقوة لئلا تصطدم باللاندروفر المتوقف بعجرفة في قارعة الطريق، مانعاً عليها المرور.

لم تكن تجيد التفريق بين لاندروفر وآخر ولكنها عرفت لمن هو فوراً. خفق قلبها بقسوة قبل أن تترجل من سيارتها مسرعة غاضبة إلى اللاندروفر، كيف يجرؤ على تركه في قارعة الطريق؟ ألا يفكر في الآخرين..؟ ألا يقيم اعتباراً لأحد؟ لا شك أنه اعتاد على اعتبار الطريق ملكاً خاصاً به.

أشعل السخط والغضب نفاد صبرها، وتحوّل إلى اشمئزاز عندما استدارت حول اللاندروفر، حيث توقفت فجأة، وهي تكاد لا تصدق عينيها.

كان براد نصف راكع، وبين يديه جسد صغير يتلوى ووجهه إلى الأسفل فوق ركبة قاسية. شعرت بصدمة منعتها من القيام بشيء ثم سرعان ما تحررت من شللها عندما وقعت يد قاسية على مؤخرة الصبي.

لم تتوقف لتفكر، لم تمعن النظر في كلماتها المرعوبة:

ـ أوقف هذا حالاً!

فتوقفت اليد وهي في منتصف الطريق إلى هدفها.

أدار براد وجهاً متجهماً إليها. فاستغل الصبي الفرصة وتحرر بسرعة ثم فرّ بين الأشجار. وقف براد وهو يلعن في سره، ولأنها خشيت أن يلحق بالصبي أمسكت ذراعه، وعيناها تتطايران شرراً واشمئزازاً.

قالت بشراسة: «إياك واللحاق به أيها المتسلط! يجب أن أبلغ الشرطة عما كنت تفعله»!

قال بحدة وفي عينيه اشمئزاز وعجرفة بدل أن يكون فيها شعور بالذنب:

- هيا.. اتصلي. واثق أنا أن السارجنت مانسون سيكون شاكراً لك.

أثارت سخريته أعصابها.. فنظرت إليه، عندئذ أدركت أن أصابعها ما زالت على ذراعه.. كانت بشرته حارة صلبة، فشعرت برغبة في السماح لأناملها بتلمس بشرته. تركته وكأن ذراعه تحرقها.

- لماذا كنت تضرب الصبي؟

التوى فمه ازدراء، وقال ساخراً:

- أولاً، لأنه تسلل إلى أرضي..

راقب احمرار السخط يحرق وجهها، ولكنه أوقف احتجاجها عندما أردف:

- ولكن الأهم من هذا..

ركع مجدداً ويداه تفتحان العشب الكثيف بلطف يتناقض بشكل غريب مع الطريقة التي كان يعاقب فيها الصبي.

- لا نوافق هنا على سرقة أعشاش العصافير.. ذلك الولد

هو ابن أخ السارجنت مانسون.. تطلق والده مؤخراً فوضعه السارجنت وزوجته تحت عائقهما. لقد ولد وتربى في المدينة، لذا يجد صعوبة في التكيف. ليست المرة الأولى التي أضبطه فيها بسرق الأعشاش.. في المرة الماضية حذرته من العقوبة التي سأنزلها به. في الواقع أني لم أكن أضربه للذة في ضربه، ولكن الولد بحاجة إلى أن يعرف أن القوانين وضعت لتطاع.

قال كلماته تلك ثم عبس بقرف، فردت بجفاء:

- أفهم ذلك. ولكنك لست قريباً من أقربائه، فلماذا لا تترك أمر تأديبه لعمه؟

- لأنني حتى أجد السارجنت فيعاقبه، يكون الولد قد نسي ما كان يفعل، ولا يعرف على ماذا يعاقب. أنا لا أؤمن بتعذيب الصغار بالتهديد ولكن العقاب الفوري أشد تأثيراً. عندما ضبطته في المرة الأولى يسرق البيض شرحت له بالضبط ما يفعل.. وأملت أن تكفيه موعظتي.

نظر إلى وجهها وابتسم ساخراً:

- هذا لا يناسبك أبداً.. صحيح؟ تفضلين اعتباري النذل في المسألة كلها.. ذلك الرجل الذي يستمتع بتوقيع العذاب الجسدي. لقد شعرت هذا الصباح ما تكنينه من عداء لي، ولو فكرياً.. تعرفين ما يقال عن إعطاء الكلب اسماً سيئاً.. أليس كذلك؟

أصبحت بين ذراعيه قبل أن تستطيع الحراك.. كان تفكيرها مشلولاً بحيث لم تفهم ما يجري.. ارتجفت عندما أمسكت يده ذقنها، يرفع لها رأسها لتنظر إليه.. عرف جسمها قبل عقلها أنه سيعانقها وما صدمها أن نبضاتها تسارعت بقوة لدى ملامسته

www.liilas.com

لها.

كان يضمها إليه بغضب، وكأنه يريد أن تحل محل الولد الذي مكنته من الهرب.. ولكن شيئاً ما كان يجري خطأ، فرغم قسوة عناقه وحرارته لم يكن الغضب هو الذي يدفع العدوانية عليها. عرفت مذعورة أنها تستجيب إليه.. اختنقت آهة كبيرة في حلقها.

تعلقت ديلسي به، عاجزة ولعل أكثر ما صدمها أن تكتشف أن يديها أصبحتا حول عنقه، وأن أصابعها تتمسك بشعره.

عرفت أن عليها إيقافه. لكن التأثير الذي كان يوقعه عليها كان غامراً.. كانت صدمتها هائلة بحيث أنها لم تستطع أن تصدق أنها هي من يستجيب بهذه اللهفة إليه!

كان عقلها الذي يحاول فهم ما يحدث مثقلاً بالصدمة التي ولّدتها طريقة براد في تصرفه معها. والغريب أن ما تشعر به يكاد يدمرها.. لم يسبق أن اختبرت هذا مع ديرك.

ديرك!

اقتحم واقعها عبر ضباب المشاعر، ودفعها إلى انتزاع نفسها من بين يدي براد صارخة بغضب ملؤه الصدمة.

كانت تسمع أنفاسه، وهي تلملم ما تشعّث من ثيابها، وكان وجهها يحترق من هول ما كانت تفعل.. عادت إلى سيارتها وهي عاجزة عن النظر إليه. كانت ساقاها مضطربتين بشكل مخيف، ونفسها مشبعة بالإذلال من تجاوبها المبهم معه.

سمعته يناديها، فذعرت، والتفتت إليه تصيح:

- ابتعد عني.. أتسمع؟.. ابتعد عني.. فقط!

دخلت إلى سيارتها غير منتظرة رده، بعد ذلك انطلقت

بسيارتها ولم تتوقف حتى دخلت إلى القرية وهناك وقفت على جانب الطريق لتدفن رأسها فوق المقود، تقاوم لتستردّ سيطرتها على نفسها. مضت ربع ساعة قبل أن تتمكن من إجبار نفسها على الانطلاق إلى المنزل.

لم يكن اللاندروفر في هذه المرة واقفاً في قارعة الطريق وكان من استقبلها ديلون الذي لحق بها إلى المطبخ ليساعدها على تفريغ ما اشترته من طعام.. كانت تحس بتوتر شديد جعلها تدرك أنه سيعلق على ذلك ولكنه ويا لسعادتها! لم يقل شيئاً.

كان يضع سمك السلمون في البراد عندما صدمها قوله:

- عظيم.. يمكننا تناول السلمون على العشاء الليلة.. لقد دعوت براد وثيولا للانضمام إلينا.

- ثيولا؟

- أجل.. إنها شقيقة براد.. التقيتها عندما جئت إلى هنا في المرة الأولى. ستعجبين بها..

لم تكن ديلسي تصغي إليه.. براد قادم إلى العشاء.. براد قادم إلى هنا.. لا يمكنها تحمل هذا. ارتجفت، كيف لها أن تواجهه؟

وكيف لها الامتناع عن مواجهته؟ يجب أن تواجهه وأن تجعله يرى أن ما حدث لا يعني شيئاً لها.. فما تجاوبها الشديد إلا مجرد شوق إلى ديرك ولا علاقة لبراد به شخصياً، أغمضت عينيها. كانت بشرتها تتورد بشدة وهي تتذكر الطريقة التي استجابت بها. تصرفه وليد غضب.. وتصرفها.. وليد غضب أيضاً، ولكنه غضب ممزوج بخسارة عزيز.

بعدما أقنعت نفسها بأن ردة فعلها نتيجة لشوقها إلى ديرك

www.liilas.com

شعرت بالراحة فلم يكن جسمها يستجيب لبراد بل لديرك.. هذا هو التفسير المنطقي.. التفسير الوحيد..

أدهشها أن تجد القدرة على تحضير الطعام والحديث مع ديلون عن نماذج السجاد الذي حملته معها، بينما تسعين بالمئة من عقلها يناضل ليخفي ما حدث بعد الظهر.

حاولت إقناع نفسها بأن براد استخدم معها الأساليب التي يستخدمها بنجاح مع العديد من النساء.. ولكن شيئاً ما رفض أن يدعها تصدق هذا الخداع. لقد حاولت إقناع نفسها بأن براد تصرف مدفوعاً برغبة في كسب انتصار آخر على أنثى.. ولكن ذكاءها رفض أن يدعها تصدق مثل هذا الوهم. فهناك شيء في الطريقة التي احتضنها بها، شيء في المشاعر التي اجتاحتها، أخافها أكثر بكثير من الأبعاد الجسدية، وفيما المنطق يناضل لإنكار هذا، أدركت أن خيطاً بدائياً من الخوف، ينسلّ من إيمان غريزي، بأن براد يريد منها أكثر مما هي مستعدة، أو قادرة، على إعطائه إياه.

لقد شاهدت، وسجلت في عقلها الصدمة التي انبرت في عينيه عندما ضمها اليوم.. كان كمن فوجيء بانفجار مشاعره بعنف وهذه حالها أيضاً.

كان الفناء المرصوف بالآجر، خارج الأبواب الزجاجية مكسواً بالعشب ومهملاً فانحنت لتنزع بعض الأعشاب التي اقتلعتها بسرعة فتابعت العمل. كانت نبتة صغيرة تنمو بشكل عشوائي فوق بعض الأحجار فترددت وهي تنظر إليها. أهي أعشاب ضارة أم زهور؟ كان عليها شراء كتاب عن الحدائق هذا الصباح والواقع أنها نوت ذلك ولكنها نسيت.

تسللت الفكرة بخفة الأفعى إلى رأسها، بأن براد يعرف بلا ريب.. ولكنها صرفت الفكرة وحثت الخطى نحو الزريبة المسيجة حيث كانت كيلي تكلم الحمار.. ولأنها طفلة هادئة حسنة التربية، لم تتذمر كيلي عندما قيل لها إن عليها الذهاب إلى الفراش باكراً، لأن والدها يتوقع ضيوفاً. ذلك المساء أشرف ديلون على حمامها ونومها أما ديلسي فكانت تحضر الطعام.

بدت الطاولة والكراسي المصنوعة من خشب الماهوغوني في مكانها الصحيح في غرفة الطعام المسقوفة بالروافد الخشبية.. كانت ديلسي قد تمكنت من اكتشاف غطاء من الدانتيل القديم خبأ لونه الأبيض الأصلي وأصبح بلون العاج الناعم فانسجم مع لون الجدران، تذكر أنه كان لجدتها، وقد انسجم مع الغطاء مجموعة من المناديل الحريرية الدانتيل، والفضية والخزف وهي هدية تلقاها ديلون وهيلين عند زواجهما. حائرة، أتستخدمها أم تمتنع؟ فهي تخشى أن يتذكر أخوها هيلين.. ولكن عندما بدأت تحضر الطاولة عبس ثم سألها لماذا لا تستخدمها.. وكان عليها أن تعترف أن ألوانها الخضراء القاتمة والذهبية، منسجمة كل الانسجام مع غطاء الطاولة العاجي.. وها هي الآن تأمل أن تكون وجبة الطعام منسجمة مع أناقة الصحون.. أحست بالامتنان لشرائها السلمون، فلولا ذلك لاضطرت إلى تقديم اللحم المقلي والسلطة لضيفيهما.

كانت أمها طاهية ماهرة، ولقد أورثت حب الطهو إلى ابنتها.. أعدت ديلسي صلصة خاصة للسلمون مع قالب حلوى متبنية وصفات كتاب المطبخ الحديث لتوفير وجبة شهية المنظر لذيذة الطعام.

www.liilas.com

عندما كانت تضع اللمسات الأخيرة على المائدة توجه ديلون بكرسيه إلى غرفة الطعام وقال لها: «تبدو رائعة!»

أضفت الزهور المقتلعة من الحديقة جمالاً على المائدة.

ارتدت ديلسي إلى الوراء تتأمل ما صنعت يداها.

قال لها ديلون ممازحاً بمحبة أخوية:

- أنت بالفعل فتاة قديمة الطراز.. لقد ورثت موهبة أمنا بترتيب البيت ديلسي..

نظر إلى عينيها وأضاف باكتئاب:

- للأسف أنك تعيشين حالياً في فراغ.. ولكنني آمل أن يأتي يوم فتجدين الرجل الذي يمنحك بيتاً وأولاداً.

قالت بحدة: «لدي بيت هنا ولا أريد سواه».

أشاحت بوجهها عنه تعض شفتها، لأنها لاحظت المرارة في صوتها.

أضافت بصوت أجش:

- لا أستطيع استبدال ديرك.. و.. لا أريد هذا.

- لن يريد ديرك أن تمضي بقية حياتك بمفردك ديلسي.. فما زلت في الخامسة والعشرين..

قاطعته بيرود: «وأنت في الثلاثين».

- أجل.. أعرف، لكنني لست مثلك.. لم أقطع نفسي عن الجنس الآخر بسبب ما حدث لهيلين.

صدمها قوله فنظرت إليه بعينين مذهولتين.. لقد ظنت أنه يشعر بما تشعر به وأنه لن يتمكن من حب امرأة أخرى. وأنه مثلها، لا يرغب في شيء غير حبهما المشترك لكيلي.

قالت بصوت هامس: «أتعني أنك قد تتزوج مرة أخرى؟»

قال بسرعة: «إذا وجدت المرأة المناسبة.. أجل، سأفعل.. لست راهباً.. لن تقبل هيلين أن أعيش ناسكاً.. لا يمكنني استبدال ما شاركته معها، ولا أريد هذا، لكنه لا يعني أنني لن أتمكن من حب امرأة أخرى..».

عبس ثم نظر إلى ساعته:

- سيصل براد وڤيولا قريباً.. سأنهي ترتيب المائدة، أما أنت فاصعدي لتبدلي ملابسك.

تبدل ملابسها؟ نظرت ديلسي إلى الجينز والبلوزة بارتباك، ثم التفتت إلى أخيها.. لقد غيّر ملابسه وارتدى قميصاً أبيض، وسروالاً أسود.. فجأة أحست بوحدة رهيبة، وكأنه بطريقة ما هجرها. رفرفت عينيها تمنع دموعاً حارقة، وتوجهت إلى غرفتها لتفتح خزانة ملابسها.. ماذا بإمكانها أن ترتدي بحق الله؟ لم تشتر شيئاً جديداً منذ سنة ونصف اشترت الفستان الأخير وفي بالها ديرك. لقد اشترته لترافقه إلى احتفال رسمي في المؤسسة التي يعمل فيها، ولكنه قتل قبل موعد الحفلة.

أحست بأصابعها متشنجة وهي تلمس الحرير الناعم، عندما اشترت هذا الفستان كانت امرأة مختلفة عما هي عليه الآن. فستاناً عصرياً ومثيراً.. وهو ما تشتريه المرأة لترتديه لرجل.

دفعته بعيداً عن نظرها.. تجذب عن المشجب فستاناً أسود اللون من القطن البسيط. إنه الفستان الذي ارتدته لجنازة ديرك.. تركته يقع على الأرض. هي قادرة على تذكر كيف اشترته بالتفصيل.. ولكنها حتى هذه اللحظة، كانت قد نسيت أنها تمتلكه.. ولا شك أن ميلاً مجهولاً إلى تعذيب النفس هو ما دفعها إلى ارتدائه الآن.. ولن تصغي إلى ذلك الصوت

www.liilas.com

الداخلي الذي كان يقول لها إنها إنما ترتدي فستان جنازة ديرك الأسود وكأنه درع يقيها.. عندما أقفلت سحاب الفستان تأملت مظهرها في المرآة، باهتمام غير متحيز.. طالما لاق بها اللون الأسود، لكن، بسبب خسارة الكثير من الوزن بدت سمراوية وبالغة الرقة.. وجدت حذاء رسمياً في أسفل خزانة ثيابها، انتعلته بسرعة، ثم وضعت ماكياجاً خفيفاً.. لسبب ما، بدا لها أن ديلون يريد منها أن تتزين.

لم شعرت بأنه يحاول القيام بشيء ما من أجل زواج؟ ولهذا حذتها عن ضرورة وضع الماضي وراء ظهرها.. لكنها لا تريد أن تنسى ديرك.. لأنها أحبته.. وما تزال تحبه بالتأكيد؟ بالطبع تحبه. لقد كان حياتها كلها..

تسلل اللون الأحمر الحار إلى بشرتها وهي تتذكر المشاعر المجنونة التي تجاوبت بها مع لمسات براد.. وضعت من يدها أحمر الشفاه، وذهبت إلى غرفة كيلي لتلقي نظرة عليها.

كانت الطفلة نائمة.. مستلقية على جانبها، ويدها الصغيرة تحت خدها المتورد. انحنت ديلسي، لتلثم الرأس الصغير.

* * *

٤ ـ الماضي في خطر

لم تكن ڤيولا ليندن تشبه أخاها أبداً.. فهي صغيرة الجسم، شقراء، يفيض منها جو من الاستعداد للإرضاء.

قالت: «كانت وجبة لذيذة.. يجب أن تسمحي لي بمساعدتك في غسل الصحون».

وهذا ما دفع ديلسي إلى الشعور بالميل إليها، أثار عجبها أن تبقى امرأة في مثل سنها منفتحة ومعرضة للأذى، فعند ڤيولا كل الدفء واللطف اللذين لطفلة صغيرة. بدت طفلة صغيرة ملهوفة إلى كسب رضى الآخرين واستحسانهم.

ما إن ابتعدتا عن الرجلين إلى المطبخ حتى بدا أن قليلاً من توترها زال عنها.. لكن ديلسي ما زالت تشعر بأن ڤيولا تعتبر نفسها بطريقة ما أدنى درجة منها.

قالت معجبة بديلسي وهي تراقبها تحضر الطباخ:

ـ أنت طاهية ماهرة.. أخشى أن أكون أكثر سوءاً من عديمة النفع.. براد هو من يقوم بالأعمال المنزلية.. أظنه يتحملني فقط بدافع الواجب.. مع أنه لا يشعرني أبداً بأنني ثقل عليه. وأشك في أن كثيرات مثلي محظوظات بالاعتماد على أشقائهن ليوفروا لهن السقف والعمل.. أوه.. هذا يذكرني.. ما زالت

قطط الآنسة داغ وكلبها عندنا. طلب مني براد أن أقول لك إن بإمكانك المجيء لأخذها متى شئت.

- أكان براد يعتني بحيواناتها؟

بدت ڤيولا مذهولة بتعجبها.

- آه!.. أجل.. وكان يطعم جاك.. الحمار.. وهو ما اعتاد أن يفعله قبل موتها، إنما سراً، بالتأكيد.. كان بإمكانها والعم هاري أن يكونا سعيدين ولكن كرامتها هي التي باعدت بينهما. كانا مخطوبين ولكنهما تشاجرا.. لا أدري حول ماذا، وأشك في أن يعرف أحد السبب.. فسخت الخطوبة.. وبما أن أحداً منهما لم يتزوج فقد افترضت أنا وبراد أنهما ظلا في الأعماق متحابين.. مسكين براد.. آخر ما كان يريده هو وراثة منزل العم هاري. لو رأيت الحالة التي كان عليها لذهلت. كانت بعض الغرف رطبة تُغم النفس. كان البيت كله بحاجة إلى ترميم، كان مهملاً بشكل رهيب. أبي وأمي وأبوه وأمه ظنوا أنه سيباع، أقول هذا لأن لكل واحد منا أباً وأماً، لقد تزوج والده أمي وكنت أنا في العاشرة وهو في الخامسة عشرة. في البدء كان الوضع عسيراً علينا جميعاً، فقد كانا والدي مطلقين، ورفضت بمرارة أن يحل شخص آخر مكان أبي.. أما براد فكان قد خسر أمه في حادثة طيران رهيبة.. لقد أخبرني ديلون، شقيقك، عن زوجته وخطيبك.. لذا أعرف أنك ستفهمين عندما أقول إنني وبراد نكره فكرة أن يأخذ شخص آخر محل أحد الوالدين. وأضيفي إلى هذا عقدة الذنب التي يشعر بها أحدنا ما إن يكتشف أن أحد الأبوين البديلين، الذي كرهه مسبقاً هو في الواقع شخص لطيف.. تصوري العوائق التي افتعلناها لأبيه

ولأمي في مرحلة زواجهما الأولى. لقد تمكنا جميعاً من التغلب على العاصفة.. كان براد أفضل مني في التكيف وفي غاية اللطف معي. بعدما سافر إلى كندا لطلب تخرجه من كلية الزراعة أحسست بالدمار.. لم يتوقع أهلنا أبداً عودته.. فقد حصل على وظيفة رائعة هناك.. كان مديراً لمزرعة ضخمة لمؤسسة كبيرة.. حينما سمعنا أنه ورث المنزل هنا توقعنا منه جميعاً أن يبيعه.. لأنه ليس بديلاً مناسباً عن وظيفته الكبيرة.. ولكنه بنى المستنبت من لا شيء.. من المال الذي جناه ومن ثمن أرض المزرعة. سألته يوماً لماذا لا يبيع المنزل فأجاب أنه غير قادر إذ يشعر بأن العم هاري لم يترك له الأملاك ليبيعها بل ليحافظ عليها..

سحبت ڤيولا نفساً عميقاً، وتورد وجهها قليلاً ثم أضافت: «أنا آسفة لأنني ثرثارة كبيرة. الواقع أنني أميل إلى الثرثرة عندما أكون متوترة.. لقد أصبت بالفأفأة المزعجة إثر زواج أمي من جون ولكنه كان لطيفاً، وصبوراً معي. والد براد عالم نبات. عاش مع أمي في بيت ريفي في «فيفز» وأعتقد أن براد ورث عن أبيه حبه للأرض.. مع أن شخصيته ديناميكية أكثر من أبيه، أما أنا فأقوم الآن بالأعمال المكتبية فيما يشرف براد مباشرة على الأمور المالية. ترى هل ستحبين المعيشة هنا؟»

في صوتها حزن عميق جعل ديلسي ترد بصدق وبابتسامة هادئة:

- إنني أعيش الآن.. وكذلك كيلي.

- كيلي! أتوق إلى رؤيتها. ديلون يحبها بجنون، أليس كذلك؟ أتشبه أمها كثيراً؟

www.liilas.com

- ليس كثيراً، بل تشبه ديلون أكثر.. وهي تملك شخصيته أيضاً. سأحضرها معي عندما أذهب لجلب القطتين والكلب. هل تحبين ذلك؟

- آه، أجل.. أرجوك..

جهزت ديلسي القهوة، ووضعتها على الصينية ثم اتجهت إلى باب المطبخ، وهناك وقفت بانتظار أن تفتح لها ڤيولا الباب.

توجه الرجلان أثناء غيابهما إلى غرفة الجلوس حيث بدوا غارقين معاً في نقاش عن الكريكت. ما إن دخلت الفتاتان حتى هبَّ براد واقفاً ثم دنا منها ليتناول الصينية.. لامست أصابعه أصابعها فانتشرت في كيانها صدمة مثيرة.

ارتدت ديلسي عن عمد لتصب القهوة، وحاولت أن تبقى بعيداً عن الحديث الدائر.. لم تكن راغبة في التحدث إلى براد.. لم تكن تريده في منزلها أو في حياتها.. بل لم تكن أصلا راغبة في سماع ما قالته ڤيولا عنه.. إنها تفضل الاحتفاظ بسوء ظنها به، وكأنما ما كانت لتجرؤ على الاعتراف بأنها قد تكون مخطئة بحقه، فلو فعلت هذا لجعلت نفسها بطريقة ما عرضة للخطر.. إنما ما هو هذا الخطر؟

ولكن عقلها رفض الإجابة عن هذا السؤال.

عندما قدمت فناجين القهوة لاحظت أن ڤيولا وديلون يجلسان على الأريكة متقاربين، كانت ڤيولا تصغي باهتمام إلى ما يشرحه عن عمله.

أنبت ديلسي أخاها وهي تقدم له القهوة.

- توقف عن إضجار الفتاة المسكينة.. أنا واثقة أنها لا تهتم

أبداً بالاقتصاد.

- بل أنا مهتمة.

قال براد بصوت متكاسل: ما تحاول أختي قوله بتواضع، إنها حاصلة على الدرجة الأولى في كلية الاقتصاد. وأخشى أن كفاءتها لا تقع في محلها بسبب عملها معي.

انضم إليهم ومد يده بمحبة يعبث بشعر ڤيولا الأشقر.. إنها الطريقة التي يداعبها فيها ديلون.

كان ديلون ينظر إلى ڤيولا نظرة شخص وجد منجم ذهب، فقد ومضت عيناه.. وأعاد فنجان قهوته إلى الطاولة دون أن يمسه..

تمتم براد قرب أذن ديلسي:

- من الأفضل أن نتركهما ليتناقشا.. إلا إذا كنت من الشقيقات اللواتي لا يرغبن في أن يكون في حياة أخيهن أحداً سواهن.

- لا تكن سخيفاً!

عرفت ديلسي أنها بدت متوترة، ولكن تعليقه أغضبها. لم تغر مرة من علاقة ديلون بهيلين.. لكن من المؤلم أن تلاحظ أنه مستعد أن يتناسى الماضي ويبدأ الحياة من جديد.. ففي عينيه إعجاب حقيقي بڤيولا.

- جيد إذن.. فلنتركهما بمفردهما.

التفت أصابعه حول ذراعها، فانتفضت.

قال لها عن غير اكتراث وهو يجرها نحو الأبواب الزجاجية:

- يجب ألا ترتدي الأسود، إنه لا يليق بك بل بجنازة.

www.liilas.com

أحست ديلسي باللون يجف عن بشرتها.. وارتجفت من برودة النسيم القادم من الباب المفتوح..

أضاف: «أخبرني ديلون أنك ملهوفة للعناية بالحديقة.. رافقيني وأخبريني ما تنوين فعله».

وجدت نفسها كما في المناسبتين الماضيتين تقاوم قوة إرادة رجل.. كان يخيفها بطريقة ليس لها علاقة بقوته الجسدية فقط.. إنه خوف نابع من ضعف رهيب تحسه في داخلها نحوه. ولكن مما تخاف؟ أتخاف التجاوب الغريزي الشديد بينهما؟ أتخاف أن تخون الحب الذي تكنه لديرك بـ.. بماذا؟ بالوقوع في حب براد؟ لا مجال إلى الوقوع في حبه إذ لا يعجبها بل الواقع أنها قالت بصوت متوتر: «أفضل البقاء هنا، لو سمحت؟»

كانا يتكلمان بصوت خفيض لا يمكن للغارقين في الحديث على الأريكة أن يسمعاه. لكن، ومع ذلك أدارها براد بعيداً عنهما وعلى فمه ابتسامة.

تمتم: «لا أعترض أبداً، ولكنني أعتقد أنهما يعترضان».

نظرت ديلسي حائرة إلى حيث فيولا وديلون.. فأضاف: «إن أراد أخوك الانفراد بشقيقتي، فلن يقدر أن يباعدهما إلى التنزه».

أحست ديلسي ببشرتها تتورد أمام انتقاده الساخر الذي يوحي لها بأنها تفتقد إلى اللياقة وسرعة البديهة.. صدمها اهتمام ديلون بفيولا ولعل السبب هو ما سيتأتى عن هذه العلاقة من تغيير دراميّ في حياتها. لو تزوج ديلون ثانية لما استطاعت العيش معه.

فيما هي غارقة في أفكارها المؤلمة، تولى براد اقتيادها إلى

الشقراء تتورد. نظرت ديلسي بشكل آلي إلى براد الذي رد نظرتها برفع حاجبيه، وكأنه يقول:

«ألم أقل لك؟»

أجابت ديلسي: «لا.. أبداً، رافقيني لو سمحت».

كانت كيلي جالسة في فراشها تفرك عينيها اللتين يحيط بهما شعر أشعث غير مسرح.. أرسلت ابتسامة سرور لديلسي ما إن فتحت عمتها الباب ثم نظرت عيناها بدهشة إلى ڤيولا.

- وقع ديبي عن السرير، أظن أن رأسه مصاب.

كانت تتكلم مع ديلسي وتنظر إلى ڤيولا.. فقالت لها ديلسي تحاول المزاح:

- وقع؟ أظنك تعنين أن فتاة معينة رفسته وهي نائمة..

ضحكت كيلي ثم ابتسمت لڤيولا، وقالت لها:

- شعرك جميل، إن لونه كلون شعر أمي. أليس كذلك ديلسي؟

- يشبهه كثيراً، مع أن شعر ڤيولا فضي أكثر من شعر أمك.

- كأنه شعر الملائكة.. أتمنى لو كان شعري كشعرها.

ضحكت ديلسي، تداعب خصلات شعر ابنة أخيها:

- إنها تتعلم الغيرة باكراً.

- أترغبين في قراءة قصة علي؟

كانت الدعوة موجهة لڤيولا، فقالت ديلسي بحزم:

- تريد ڤيولا الذهاب إلى بيتها.. وهي متعبة، لذا لن تستطيع قراءة قصة عليك. لقد دعتنا إلى زيارتها غداً لأنها تعتني بالهرتين وبالكلب من أجلنا.

مالت ڤيولا لتلتقط الدب عن الأرض وحالما استقامت مالت

الطفلة إليها لتلثم على وجهها قبلة مرتفعة الصدى. إنها طفلة عاطفية.. راقبت البهجة في عيني ڤيولا التي أذعنت إلى رغبة الفتاة التي طلبت منها تدثيرها بالأغطية. سرها أن الطفلة أحبتها.. ولكنها في الوقت ذاته شعرت بالوحدة لأنها وديلون، لم يعودا متواصلين كما كانا منذ الحادثة.

عندما كانتا متوجهتين إلى الطابق السفلي أكدت ڤيولا عليها بحزم الدعوة غداً.. كان براد ينتظر شقيقته في الردهة، فغادرا فوراً.

قال ديلون معلقاً وهو يساعدها على غسل فناجين القهوة:

- أخوان رائعان..

- أعجبتني ڤيولا.. أما أخوها فليس من طرازي. فهو معتد جداً بنفسه و..

قاطعها بفظاظة: «رجل؟»

وصدمها قوله. وضع قطعة القماش التي كان يستخدمها في تجفيف الصحون من يده، ودنا منها ليمسك يديها بيديه ويديرها إليه وبعد ذلك راح يقلب يديها بين يديه. غرق للحظات في النظر إلى راحتيها ثم رفع رأسه فإذا الحزن باد على وجهه.

- ربما الوقت الآن غير مناسب لقول هذا ديلسي.. لكنني قلق عليك. لقد وجهت لك الحياة ضربة رهيبة بمقتل دبرك. ولكنك لا تستطيعين المضي في الحزن عليه إلى الأبد حبيبتي، يجب أن تتعلمي الحب مجدداً، وتتخلي عما مضى.. أنت تتمسكين بحزنك بل تشجعينه على النمو. وهذا غير مناسب لفتاة في مثل عمرك. لقد بنيت حياتك كلها عليّ وعلى كيلي وهذا غير مناسب.. يجب أن تخرجي مما أنت فيه.

- لأجد شخصاً آخر؟

كان صوتها جافاً متحشرجاً، انتزعت يدها منه، مشيحة ظهرها.

- أهذا ما تخطط إليه ديلون؟ البحث عمن يحل محل هيلين؟ أتراك وجدتها؟

بللت الدموع مآقيها فهرعت إلى غرفتها وهناك سألت نفسها وهي جالسة أمام النافذة: ماذا أصابها؟ لقد تشاجرت بمرارة مع أخيها، وهذا ما لم يحدث قط.. ولماذا؟ لأنها تقاتل من أجل ألا تتغير حياتها وها هي تضع اللوم كله على براد بسبب هذه التغييرات.

لقد قالت لديلون ما لا يحق لها أن تقوله. لقد تعمدت دفعه إلى الإحساس بالذنب. حاولت أن تدس في عقله أن لا حق له في حب امرأة أخرى، وأنه يخون هيلين.. وهذا خطأ فادح.

نهضت عن كرسيها، ونزلت لتدق على باب ديلون.

ما إن فتحه حتى شاهدت التعاسة في عينيه، فرمت نفسها إلى ذراعيه وقالت بصوت مخنوق على كتفه:

- ديلون.. أنا آسفة.. لا أدري ما دهاني.. أرجوك سامحني.

قال لها بهدوء: لم تقولي ما لم أقله لنفسي منذ لقائي بڤيولا. أعرف في ما تفكرين ديلسي، لأنني فكرت فيه.. لكن لقائي بها هو ما دفعني إلى التفكير في ما نفعله بنفسينا أنا وأنت. لقد خسرنا شخصين أحببناهما كثيراً ولكن لن يعيد أحد إليهما الحياة كما لا أظن أن أياً منهما قد يرغب في أن نقضي حياتنا كناسكين.. لو كنت مكانهما، أكنت ترغبين في هذا؟

www.liilas.com

أكنت ترغبين صدقاً أن يقضي ديرك حياته بمفرده حزيناً عليك؟

ربما لا.. إنما هذا لا يغير ما تشعر به.. فهي عكس ديلون، لا تريد أن تحب شخصاً آخر. فالحب يعني لها الألم، والقلق.

سألته غير منتظرة إجابة عن سؤاله:

- الأمر جاد بينك وبين ڤيولا.. إذن؟

- هذا ممكن، ولكنني لم أعرفها منذ وقت طويل.. التقينا فقط أربع مرات قبل هذه الليلة.. لقد أرتني المنزل عندما جئت إلى هنا.

- وهي التي أحبتها، لا المنزل كما قلت لي.

كشر وجهه مازحاً رداً على مزاحها:

- كان عليّ أن أحذئك عنها قبل ذلك إنما وقع الأمر فجأة.. ولأنها خجولة وغير مطمئنة البال لم أرغب في استعجالها.. ولكن حتى وإن تطورت علاقتنا فلن تكون هذه العلاقة صفقة ناجحة.

التفت إلى الكرسي النقال ثم أضاف بهدوء:

- أعرف أنني أتحسن جسدياً.. ولكنني قد لا أتحرر من هذه أبداً.

ردت بصوت عذب: «إن كانت تحبك فلن تهتم بهذا أبداً».

- آه.. أجل.. إن كانت تحبني..

- لم تخبرني أنها وأخاها يهتمان بالحيوانات كما لم تخبرني عن علاقة الآنسة داغ بعمهما.

- همم..؟ لا.. ألم أخبرك؟

كان في عينيه وميض ساخر:

- بدوت عازمة النية على اعتبار براد شخصاً سيئاً لذا لم أخبرك الحقيقة.. فهذه مشاعر لم أرها منذ الجنازة. هل ستصحبين كيلي غداً إلى منزلهما.

- أجل..

تمطى قليلاً ثم أظهر الألم:

- وهذا ما يذكرني.. لدي موعد في المستشفى.

كان عليه منذ غادر المستشفى الذهاب إليها للقيام بعلاج فيزيائي. ولكنه سيقوم بالعلاج في مستشفى قريب غير مستشفى لندن.

- عرضت ڤيولا عليّ أن تقلني، هذا إن كنت أنت مشغولة.. على فكرة..

ابتسم ابتسامة ممزوجة بشيء من الخجل:

- لقد قلت لها إنك سترتبكين إن نقلتيني إلى المستشفى وتركت كيلي في المنزل وقلت لها إننا لو أخذنا الطفلة معنا لضجرت في الخارج وهي تنتظرنا.

من غير المنطق أن تشعر بالغيرة وبالامتعاض من ديلون.. هذا ما قالته لنفسها وهي تحضر فراشها في وقت لاحق، وقد عللت موقفها إلى خوف مجهول هي تحبّ ڤيولا، ولو كانت في ظروف أخرى لشعرت بالسعادة بسبب علاقتها بأخيها.. ولكنها تحس حالياً بالخيانة وبالوحدة.

عندما أغمضت عينيها، استحضرت كالعادة صورة ديرك. أو على الأقل حاولت.. ويا للخيبة، رفضت ملامحه الحبيبة الظهور.. وبدلاً منها رأت وجه براد الوسيم المتعجرف وعينيه الرماديتين الساخرتين.

www.liilas.com

كانت تتطلع شوقاً إلى هذا الوقت ففيه يتم هذا التواصل السرّي بينها وبين ديرك.. ولكن على ما يبدو أن هذه السعادة انتزعت منها. وها هي تلعن براد على ذلك، أدارت وجهها إلى الوسادة وابتهلت إلى الله حتى تنام.

سألت كيلي عمتها وهما تسيران في الممر المفضي إلى منزل جارهما:

ـ أي نوع من الكلاب هو؟

أجابت ديلسي ابنة أخيها: «لا أعرف».

اتبعت تعليمات ڤيولا فقادت سيارتها على الطريق الرئيسية، ثم وصلت إلى البوابة الحديدية الضخمة المشغولة يدوياً. كانت البوابة مفتوحة والطريق الداخلي المرصوف بالحصى تحيط بجانبيه شجيرات وردية شائكة وأشجار مرصوفة.

بدا المنزل فخماً في كل جانب منه. مع أن كلمة «فخماً» غير مناسبة لأنها توحي بتعال بارد ليس ميزة هذا المنزل أبداً.. بل هو يقدم واجهة دافئة ترحب بالزائر. وهذا يدل على أنه منزل شهد السعادة والدفء أجيالاً وأجيالاً.

لقد صقل الحجارة القرميدية الحمراء الزمن.. وتعرش اللبلاب فوق الجدران.. كانت النوافذ الزجاجية مطلية بالأبيض تشرف على الطريق الداخلي والأرض المحيطة بها.. وعندما أدارت ديلسي رأسها لمحت بريق الشمس فوق المياه.

انفتح الباب وهي واقفة تتأمل المنظر. خرجت ڤيولا التي هبطت الدرج راكضة لترحب بهما.

قالت: «في الوقت المحدد».

أنزلت الجرو الإنكليزي الذي قفز على ديلسي، وقالت لها

مبتسمة:

ـ إنه كلب براد.. اشترته له أمي ليحل محل الكلب الذي فقده في السنة الماضية.

سألت كيلي بوقار: «وأين كلبنا؟»

انحنت الصغيرة لتداعب خصلات شعر الكلب الصغير.. فردت عليها ڤيولا:

ـ إنه الآن في المطبخ.. لماذا لا تدخلين لتتعرفي إليه؟

هزت رأسها شوقاً ثم سارت مع ڤيولا التي قالت وهي تعتذر لديلسي:

ـ أردت أن نتناول الشاي أولاً.. ولكن شيئاً ما أنبأني بأن كيلي لن تجد احتساء الشاي فكرة حسنة.

لاحظت ديلسي وهي تسير في الردهات جمال تنسيقها كما لاحظت سياج الدرج الحديدي المشغول يدوياً والدرجات الرخامية.. كانت عدة لوحات تزين الجدران وهي لوحات لشخصيات عائلية على ما يبدو. وقد تأكد ظنّ ديلسي عندما قالت ڤيولا وهي تفتح باباً من خشب الماهوغوني، شديد اللمعان:

ـ المنزل ملك عائلة براد منذ زمن طويل.. ولكن، عبر السنين اضطرت العائلة إلى بيع المزيد والمزيد من الأراضي بحيث لم يبق إلا المنزل وما يحيط به. لهذا أراد براد شراء الزريبة من الآنسة داغ.. أراد أستخدامها لتوسيع أعماله.. فقد كان المنزل الصغير جزءاً من الأملاك وقد بيع لوالدي الآنسة داغ على يد جد براد الأكبر.

وقفت ڤيولا لتسمح لكيلي وديلسي بالدخول قبلها إلى

www.liilas.com

المطبخ.. كان هناك موقد يعمل بالوقود، يشغل تجويفاً من الآجر في جدار المطبخ.. بدت في الوسط مائدة كبيرة مستطيلة..

قالت ڤيولا: «نتناول عادة طعامنا هنا، إلا إذا كان لدينا ضيوف. براد بحاجة إلى وجبة لائقة وقت الغداء، ولأنه لا يملك وقتاً للجلوس وتناول الطعام بشكل رسمي، نميل إلى تناول الوجبات في المطبخ.. من حسن الحظ أنه يواجه بعض الركود الآن.. لقد انتهى الموسم وسيكون أمامنا هدوء نسبي من الآن حتى آخر الصيف حيث يجب أن نبدأ بتحضير الطلبات للزراعة في الخريف.. ولكن بسبب وجود زراعة النباتات في بيوت زجاجية هذه الأيام يظل براد مشغولاً دائماً.. إنه عمل ملؤه التنافس.. فإن لم نرضِ زبائننا ومتطلباتهم قصدوا غيرنا.. سيكون براد معنا بعد حوالي الساعة.. نحن نتناول عادة شيئاً من الطعام في الخامسة وبعد ذلك يعود إلى عمله. علينا أن نستغل نور المساء قدر المستطاع.. سأطلب منه أن يريك المستنبت إن شئت. أخبرني ديلون أنك شديدة الاهتمام بتحسين حديقتكم».

قبل أن ترد ديلسي رأت كيلي كلب الصيد الذهبي الجالس أمام الموقد.. فسألت ڤيولا بلهفة:

ـ هل هذا كلبنا؟

مدت يدها تدفع خصلات شعر كيلي عن وجهها المتفعل:

ـ أجل.. هذا هو كايج.

فكرت ديلسي: لو أرادت كيلي أماً بديلة لما وجدت أفضل من ڤيولا.

قالت ڤيولا بصوت أجش: «ما أحبّها إلى القلب!»

أخذت الصغيرة تربت رأس الكلب الذهبي، وتهمهم بكلمات غير مفهومة.. فأضافت ڤيولا:

ـ القطتان في المستنبت الزجاجي.. لدينا بركة سمك هناك وهما تعيشان على أمل اصطياد سمكة.

راقبتها ديلسي بعد عشر دقائق وهي تأخذ كوب عصير برتقال إلى كيلي فصدمتها مجدداً المشاعر التي تثيرها الطفلة في نفسها..

علقت بعد عودة ڤيولا لتصب الشاي: يبدو أنك تحبين الأطفال كثيراً.

أظلمت العينان الزرقاوان، وارتجف ثغرها وهي ترد بصوت أجش: «أجل، أحبهم».

بدت وكأنها توشك أن تجهش بالبكاء فقلقت ديلسي.. هل قالت شيئاً أزعج ڤيولا؟ لقد عرفت أنها حساسة، لذا تكره أن تؤذيها ولو بكلمة.

قالت ڤيولا: «آسفة، لست عاطفية عادة. الأمر.. حسناً.. من الأفضل أن أخبرك. عندما كنت في الثامنة عشرة، أحببت زميلاً لي في المدرسة.. كان أكبر مني سناً.. وقتذاك تصرفت بطريقة غبية ولكنك تعرفين أن المراهق يخال نفسه عالماً بكل شيء، لقد أخفيت ما حدث لي عن والدي.. كان براد يومذاك في كندا.. عندما أخبرته أني حامل أصر عليّ حتى أجهض ولكنني لم أرغب في هذا.. خفت جداً أن أخبر أمي التي أعدت العدة حتى أذهب إلى كامبردج لنيل درجة جامعية. وما حدث أنه أقنعني بالإجهاض».

تجنبت عيناها عيني ديلسي.. ولكن لم تحتج ديلسي إلى

www.liilas.com

إمعان التفكير لتعرف مدى التعاسة التي سيطرت عليها يومذاك..
وأحست ديلسي برهبة مريرة لأن شخصاً ناضجاً يدفع فتاة مراهقة إلى موقف كهذا.. وأحست نحوه بما أحست نحو جايسون براونلي.. ولكن اشمئزازها كان أقوى بكثير.

أكملت ڤيولا: وكان يجب أن أخبر والدي اللذين عاملاني بلطف وتفهم. ثم عاد براد في إجازة ولمّا عرف بالأمر أراد مواجهته لما فعله بي ولكن والدي أقنعاه بالعدول.. ولكم تمنيت منذ ذلك الوقت لو امتنعت عن الإجهاض. أشعر أحياناً بأنني لا أستطيع المغفرة لنفسي بسبب استسلامي.. ولم يعد ذلك الرجل يعني لي شيئاً.. أما الطفل..

ظنت ديلسي أنها فهمت الآن سبب خجل ڤيولا وارتباكها. فمن القسوة أن تواجه الفتاة نبذ حبيبها لحبها وطفلها في آن..

وأكملت:

ـ لقد أخبرت ديلون بالأمر..

تأخرت ديلسي عدة لحظات لتستوعب ما قالته ڤيولا.. ثم قالت بعذوبة:

ـ واثقة أنه تفهم ما تشعرين به ڤيولا.

تعرف ديلسي أخاها جيداً فهو آخر من يدين امرأة بسبب عمل خارج عن إرادتها.

أضافت ڤيولا: «أجل.. أجل.. لقد تفهمني.. وأنا معجبة به ديلسي..»

ثم أضافت بحياء:

ـ وأحببت كيلي.. طالما رغبت في فتاة صغيرة.

أحست ديلسي بأن الفتاة تحاول معرفة ما إذا كانت علاقتها

بديلون ستنال موافقتها.. فقالت لها بحزم:

ـ وهو معجب بك كثيراً.. أنا في غاية السعادة، لأنه وجد من.. يساعده على بناء حياته من جديد ڤيولا. هذا ما يحتاج إليه، وهذا ما كانت تريده له هيلين.

عندما كانت تنطق بهذه الكلمات أدركت أنها فعلاً نابعة من قلبها. فما كانت هيلين لترغب في أن يمضي زوجها وابنتها عمرهما في الحزن عليها.. وهذا ما لا يريده ديرك أيضاً. حاولت تنحية الفكرة عن رأسها.. فهي تريد الاستمرار في الحزن عليه.. إنها بحاجة.. بحاجة إلى ماذا؟

أحست بالبهجة لأن كيلي أبعدت عنها تلك الأفكار إذ جاءت لتسأل متى تستطيع رؤية القطتين.. فرفعتها إلى ركبتيها ووعدتها بمرافقتها لرؤيتهما حالما تشربان الشاي.

* * *

www.liilas.com

٥ ـ هل تكفي الذكريات؟

عندما حان وقت الذهاب، أدركت ديلسي استحالة حشر كلب ضخم، وقطتين إضافة إلى طفلة في سيارتها الصغيرة. نظرت عاجزة إلى حجم الكلب، وإلى وجه كيلي الذي تجهم عندما اقترحت عمتها ترك الكلب إلى يوم آخر. شعرت بالراحة حالما تقدمت ڤيولا باقتراح إنقاذي:

ـ اسمعي، لماذا لا أنقل الكلب والقطتين مع كيلي في سيارتي الكبيرة؟

تعالى احمرار وجهها وهي تتكلم.. فعرفت ديلسي مشفقة أنها ستكون أكثر من سعيدة برؤية ديلون مجدداً..

قالت شاكرة: «عظيم.. سألحق بكم في سيارتي».

عضت ڤيولا شفتها: «آه، لقد نسيت.. هناك رسالة هامة عليَّ أن أبلغها لبراد. يريد أحد المشترين رؤيته غداً في العاشرة صباحاً وأظنه سيتغيب غداً.. هل من إزعاج إذا بقيت هنا حتى يعود إلى المنزل.. ديلسي؟ لن يتأخر. حوالي نصف ساعة.. ستكون الفرصة سانحة له ليريك المستنبات».

أرادت ديلسي أن ترفض، لكن ڤيولا حساسة لأقل انتقاد.. ولو رفضت لاعتقدت أنها لا تثق بها للاعتناء بكيلي.. أو الأسوأ

من هذا أن تعتقد أن ديلسي غير موافقة على علاقتها بديلون..

قالت موافقة: «لا بأس، سأبقى حتى أبلّغه الرسالة».

أضافت ضاحكة لكيلي: من الأفضل أن تقولي لديلون، إن هناك شابة معينة تحتاج إلى الاستحمام وإلى النوم باكراً الليلة.

ـ سأقول له.

سرّت ديلسي برؤية ڤيولا تضع حول كيلي في المقعد الخلفي حزام الأمان بحذر.. وإلى جانبها جلس كابج. أما القطتان فكانتا في سلتهما، عندما مرت بديلسي أنزلت نافذتها وصاحت بمرح:

ـ شكراً ديلسي.. لن يتأخر براد كثيراً.

ولم يتأخر.. كانت في المطبخ عندما سمعت اللاندروفر يتوقف في الخارج بعد ربع ساعة على الانتظار. ما إن دخل إلى المطبخ حتى انتفض ثم ارتفع حاجبه بسؤال صامت.. فسارعت تقول:

ـ لم أستطع وضع كابج والقطتين وكيلي في سيارتي، فاضطرت ڤيولا إلى نقلهما بسيارتها ثم طلبت مني البقاء لأبلغك رسالة.

ابتسم: «هل بالإمكان الانتظار حتى أستحم، فأنا متسخ».

لم تبدُ عليه القذارة، لكن عندما استدار، شاهدت بقع العرق على قميصه من الخلف، وبعض الوحل على ذراعيه.

قال لها: «أمضيت فترة بعد الظهر أحفر حول ما آمل أن يكون استيلاداً جديداً لشمرة «الكيوى» إنه عمل جانبي أفكر في خوضه بطريقة معينة».

حرك ظهره متمطياً، وكشر عن وجهه:

www.hilas.com

- يا إلهي.. سيتشنج جسمي غداً!

شد عضلات جذعه، وكأنه يختبرها ثم أرخاها.. كانت ديلسي ترقبه بطرف عينها، فشعرت بحرارة غريبة تسري في كيانها وبانقباض خانق في عضلاتها.

كان براد يراقبها وعيناه ضيقتان بتفهم ساخر:

- لا أظن أن هناك فائدة من دعوتك للصعود معي لتدليك ظهري..

- أبداً.

كرهت التسلية الكسولة في عينيه، وكرهت تورد وجهها أيضاً.

- عشر دقائق وأكون معك.

توجه نحو الردهة، ثم قال من فوق كتفه:

- آه، لا مانع عندي من احتساء فنجان قهوة.

بدأت ديلسي تحضر القهوة. كان صادقاً في كلمته فقد نزل بعد عشر دقائق، تقريباً. دخل إلى المطبخ تنتسم منه رائحة الصابون. كان شعره ملتصقاً برأسه وساعداه العاريتان، وعنقه المكشوفة تلمع كالساتان المصقول.. تعمدت ديلسي إبقاء عرض الطاولة حاجزاً بينهما.

صبت القهوة ثم بلغته الرسالة وقالت بجفاء: «سأعود حالاً».

سأل بلهجة مقتضبة: «لم العجلة سيكون ديلون آمناً مع ڤيولا.. أم ترى ألهذا السبب أنت تواقة للعودة؟ ألا توافقين؟»

لم تتظاهر بعدم فهم قصده بل توردت بشرتها غضباً وهي تنكر ما ألمح إليه..

فأردف: «إذن، لا يقلقك تطور العلاقة بين أختي وأخيك؟»

- أبداً.. ولماذا تقلقني؟

- لا سبب محدد. ولكنني أعترف أنني دهشت. فأنت عازمة على العيش في الماضي، لذا خلتك تمتعضين من قرار ديلون بالاستمرار في الحياة.

كان هذا كلاماً قاسياً مجحفاً، ولكن لم يكن في عينيه ندم أو اعتذار عندما نظر إلى عينيها.. بل الواقع أنه نظر إليها بغضب شديد جعل نبضاتها تقفز، وأجهزة دفاعها تتأهب:

- لماذا أنت ملهوف دائماً إلى إساءة الظن بي؟

إنه سؤال سخيف.. عندما رأت اللمعان الساخر في عينيه، تمنت لو امتنعت عن طرحه.

- ربما لأن هذا يمنعني من أن أكون ملهوفاً لفعل هذا..

وضع كوب القهوة من يده ثم تحرك بسرعة لم تترك لها المجال لتجنبه.. رفعت يديها إلى صدره لتدفعه عنها، ولكنها كانت كمن تحاول تحريك صخرة كبيرة.. اليدان التي رفعتهما للدفاع عن نفسها، التفتا حول عنقه لتمنع نفسها من فقدان التوازن تماماً.. وكأنما أحس كم كان عقلها بقاومه. فشذ ذراعيه حولها والغضب والرغبة يشتعلان في عينيه في آن معاً.

لم تكن راغبة في الاستجابة إليه.. ولكن عناقه أثار الرد المطلوب فيها.. هي لا تحبه بل تكرهه، وتكره التأثير الذي له فيها.. ومع ذلك لم يكن هناك شيء قادر على تغيير مدى قدرته على إثارتها إذ كانت بين ذراعيه تختبر تجاوباً لم يسبق أن شعرت به مع ديرك.

يبدو أن مشاعرها نحوه تعكس مشاعر حواء نحو الحية التي

www.liilas.com

أغوتها، وسببت نزولها من الجنة.

لم يكن ديرك يعانقها هكذا أبداً.. لم يفرض عليها قط قوته ورجولته كما يفعل براد.. بل كان تصرفه معها دائماً لطيفاً وعناقه حنوناً وعواطفه مكبوتة.

تنشقت ديلسي الهواء بنهم عندما تركها، كان صدرها يعلو ويهبط بسرعة ثم كادت يداه تكتمان أنفاسها. وجدت نفسها عالقة في تيارين متضاربين.. فجسمها يقول لها شيء وعقلها يقول لها شيئاً آخر.. ثم تركها براد، فتحررت من السحر الأسود.

- أتتناولين العشاء معي الليلة؟

كان صوته غير ثابت، وكان على خديه بقع حمراء.. حررت نفسها منه آلياً، وشهقت متألمة من شدة ضغطه عليها.

- لا..

رأت فمه يتصلب، وكادت تحس بإحباطه.. قال بحدة: «إن كنت لا تريدين مشاركتي العشاء من أجلي، فقومي بهذه التضحية من أجل أخيك».

- ديلون؟

كادت تخيفها العدائية والمرارة في عينيه لولا غضبها منه..

أجابها: «ألا تصدقين أنه قد يريد ڤيولا لنفسه؟ فكري ملياً، فهو عاجز في حالته الراهنة عن دعوتها إلى الخارج وليس لديهما فرصة البقاء بمفردهما. فأنت تحرسينه كدجاجة ليس لديها سوى صوص واحد».

أغضبها استخدامه تعبير «تحرسينه» والسخرية في عينيه. زمت شفتيها ثم كادت ترفض للمرة الثانية، عندما تذكرت ما

قاله ديلون عن ڤيولا.. براد على حق.. سيرحب ديلون بالبقاء وحيداً مع ڤيولا.. من غير العدل حرمانه من هذا لأن براد هو من اقترح عليها هذا.. فقالت:

- لا أستطيع الخروج للعشاء بهذه الملابس!

هز كتفيه الضخمتين: «عودي إلى البيت لتبدلي ملابسك. أما أنا فسأكون عندك بعد ساعة لاصطحابك».

لم تكن راغبة في الخروج معه، ولكن خطر ببالها أنها فرصة مثالية لتقول له إنها لا ترحب بتحرشاته.. ففي المطعم حيث الناس حولهم ستتمكن من القول له إنها تريد منه أن يتركها وشأنها..

أجابت: «حسناً».

ضحك، ثم قال بصوت أجش: «لا تجهدي نفسك بإظهار كل هذه الحماسة، ولا تحاولي التراجع، لأنني قادر على أن أتأكد من أنك ستنفذين ما اتفقنا عليه».

ولم تكن ديلسي تشك في هذا البتة.

لم تُظهر ڤيولا أية دهشة عندما أعلنت ديلسي أنها ستخرج للعشاء مع براد، فظنت أن الأمر كله مدبر مسبقاً بين الأخ وأخته.. بدا لها أن ڤيولا غير معتادة على توريط نفسها بما فيه خداع، ولكن، إن كانت تحب ديلون، أليس من الطبيعي أن ترغب في التمسك بأية فرصة للانفراد به؟ والغريب أنها انزعجت من أن يكون سبب دعوتها إلى العشاء رغبته في تسهيل علاقة أخته بأخيها.

تعمدت، عقاباً لنفسها على ضعفها، ارتداء الفستان الذي اشترته لحفلة مكتب ديرك السنوية، والذي لم ترتده بسبب مقتله

www.liilas.com

قبل الحفلة.. والآن، عندما أخرجته من مغلفه الواقي ارتجفت قليلاً، فقد أدركت فجأة أنها للمرة الأولى تتذكر ديرك فلا تطالعها صورته آلياً.. بل الواقع أن ملامحه حينما حاولت استحضارها رفضت الظهور بعناد، فسارعت بذعر إلى طاولة الزينة لتنظر إلى صورته.

خففت رؤية ابتسامته، من حدة مشاعرها. حملت صورته فأحست بأنفاسها تهدأ، وبضربات قلبها تخف سرعة.

علمت أن براد سيصعد إلى غرفتها إن لم تكن جاهزة في الوقت المناسب. فاستحمت وغيرت ملابسها في وقت قياسي تقريباً.. كانت تضع اللمسات الأخيرة على ماكياجها عندما سمعت سيارته في الخارج.

نادتها ڤيولا: «براد».

ـ سأنزل فوراً.

مررت فرشاة في شعرها، ثم تناولت حقيبة يدها مسرعة نحو الباب.. أبدت لها نظرتها العابرة إلى المرآة صورة عنها كانت غريبة عليها.. لقد مضى زمن طويل منذ تبرجت وارتدت ملابس فاخرة.

كانت فتاة نحيلة دوماً.. ولكنها لم تستعد الوزن الذي خسرته في الأسابيع الأولى على الحادثة. فالفستان، الذي كان يحتضن جسمها حين اشترته أصبح الآن واسعاً بحيث دلّ بوضوح على هزاله. كانت الأكمام الطويلة ضيقة عند الطرف لذا زادت من إبراز نحول عظام معصميها.. كانت ياقة الفستان مرتفعة عند العنق ومنخفضة من الخلف، وكان القماش الحريري الناعم يحتضن خصرها ثم ينسل برقة فوق ردفيها.. كانت الياقة من

الأمام والخلف محاطة بشرائط من الساتان.. ومؤخرة العنق كطرفي الكمين مثبتة بعقدة من الساتان المزخرف.

زاد لونه الليلكي الضبابي، من إبراز لون بشرتها، وحول عينيها من الأزرق إلى البنفسجي مضفياً بذلك بريقاً أعمق على شعرها الأشقر.. إنه فستان اشترته امرأة وفي عقلها رجل معين، كاد اضطرارها الليلة إلى ارتدائه لبراد لا لديرك يمزق قلبها بسكاكين الألم.. وما زادها ألماً أن تدرك، أن جزءاً منها أراد أن يراها براد فيه.

كانت ڤيولا بانتظارها في أسفل الدرج. ما إن شاهدتها حتى أضاءت وجهها تعابير الامتنان، فنادت أخاها بمرح:

ـ براد.. انتظر حتى تراها!

أطبق على حلقها ذعر قوي لأنها أدركت أن ڤيولا تشير إلى أنه سيجدها مثيرة مرغوبة. كادت تعلق لبرهة أنها غيرت رأيها، لكن براد ظهر في باب غرفة الجلوس، وراح يمعن فيها النظر ولمعان الفولاذ الفضي في عينيه.. عرفت أن أية محاولة منها لتتملص من الموعد، ستقابل بمقاومة شديدة.. ذكرت نفسها أنها تفعل هذا من أجل ديلون، لذا سمحت لبراد أن يقتادها بيده إلى سيارته.

لم تكن رؤية «رولزرويس» ولو قديمة في الخارج ما توقعته.

ضحكت ڤيولا كأنما تقرأ دهشتها:

ـ كانت لعم براد الذي لم يستخدمها كثيراً. لقد اعتز بها كثيراً بحيث بدا أن من الخسارة التخلص منها.. أظنها تناسب براد، مع أنه يفضل اللاندروفر.

www.liilas.com

قاطع براد أخته: «لها ميزاتها الخاصة».

أضافت ڤيولا ممازحة:

- أجل.. لها مقاعد مريحة تتكىء إلى الخلف.. عكس اللاندروڤر.

علمت ديلسي أن الملاحظة موجهة لبراد لا إليها ومع ذلك لم تستطع منع التورد من الظهور على بشرتها.

ساعدها براد على الصعود إلى السيارة التي ما إن دخلت إليها حتى غمرتها رائحة الجلد الطبيعي. أحست حتى وعيناها بعيدتان بدخول براد إلى مقعد السائق.

تأخر قليلاً حتى شد حزام الأمان، ثم قال لها ببرود قبل أن ينطلق:

- لا تأخذي ملاحظات ڤيولا على محمل الجد.. لقد تجاوزت مرحلة مغازلة من أخرج معها في مقعد سيارة.. ففي هذه الأيام، أفضل الراحة والخلوة، في فراش مزدوج كبير.

كانت الصور التي أثارها بكلامه المتشدق، في غاية الإزعاج فاضطرت إلى التقوقع على نفسها وتركيز بصرها على الخارج.. لو نظر إليها، لرأى بكل وضوح، أنها في عين أفكارها، شاهدت ذلك الفراش المزدوج.

أخافها جموح خيالها. ماذا أصابها؟ لا تريد لكل هذا أن يحدث.. لا تريد أن تشعر بهذه المشاعر نحوه أو نحو مطلق رجل! لقد فقدت رجلاً أحبته، ولن تتحمل فقد شخص آخر، إن الطريقة الوحيدة لمنع حدوث هذا هي عدم السماح لنفسها بالوقوع في الحب مرة أخرى.

الوقوع في الحب؟ هذا مستحيل! لن تقع في الحب مرة

أخرى! لأنها أحبت دبرك.. أخذ هذا التفكير يطمئنها ويهدىء روعها، وساعدها كثيراً على صرف التصاعد الفجائي للمشاعر التي يمليها عليها براد.. مع ذلك، أحست بالامتعاض المرير لأنه يمتلك هذه القدرة المخيفة على التأثير فيها إلى هذا الحد. فقدرته تلك تجعلها غير واثقة من نفسها. بل تجعلها عرضة للخطر، الخطر القادم من رجل تكرهه. إن من المثير للاضطراب أن تعرف أنها غير قادرة على السيطرة على ردات فعلها.

قال براد: «إنه فستان جميل. فيه ميزات تفتقر إليها الأزياء الحديثة.. أستطيع القول، إنه فستان يروق كثيراً لبني جنسي، ولقد أرضيت غروري لأنك اخترته من أجلي».

جاءت كلماته بصوت عذب منخفض بحيث كادت لا تسمعها جيداً، ولكن عندما فهمتها، تسمرت في مكانها والتفتت تنظر إليه ببرود.

- لم أخترته من أجلك.. اضطررت إلى ارتدائه لأنه الثوب الوحيد في خزانتي الذي يليق بسهرة.

لم يكن صحيحاً ما قالته ولكنها في حالتها العاطفية الراهنة غير مستعدة للاعتراف بكذبتها. أطلقت عيناها شرارات غضب محذرة حالما انتقلت عيناه إليها. شعرت بأنه لم يصدقها، فأضافت بحرارة:

- الواقع إنني اشتريته من أجل.. من أجل خطيبي.. ولكنه قتل قبل أن...

صمتت.. لأن العبرة خنقت الكلمات ولو تابعت الكلام لأصبحت عرضة لمهانة الانهيار أمام مغويها.

شعرت بأن وجودها بين ذراعي براد، وهي تبكي بؤسها

www.liilas.com

وعقدة ذنبها على كتفه، سيغير من علاقتهما.. وهذا ما لا تريده.. إنها تريد أن تنفر منه وأن تكرهه.. لا تريد الاعتراف بأنه يملك مزايا حسنة.. ولكن، لماذا؟ ألأنها خائفة مما قد يعنيه هذا الاعتراف؟

وفيما هي غارقة بأفكارها سمعته يشتم بصوت خفيض ثم شعرت بالسيارة تنحرف بحدة وبحزام الأمان يكاد يقطع لحمها من شدة ضغطه على المكابح.

في البدء اعتقدت أن توقفه عائد إلى تجنبه عصفوراً أو أرنباً، ولكن عندما شاهدت الغضب المرير على وجهه وهو يستدير إليها، أدركت أنها المسؤولة عن هذا التوقف المباغت.

ارتفعت يداه لتمسكان كتفيها.. كان في عينيه وميض ما يوحي بأن صاحبه دفع إلى أقصى حدود الاحتمال.. جعلها توتره الشديد ترتجف ارتباكاً.

- لو ظننت للحظة واحدة أنك تحاولين استبدالي بحبيبك الميت..

تصاعد غضبها حتى أصبح يوازي غضبه:

- أستبدل ديرك بك «أنت»؟

إنما شاب غضبها الخوف.. الخوف منه ومن نفسها، ممتزجاً بمعرفة أكيدة أنها مندفعة بدون تروٍ إلى وضع صممت عل تجنبه فصبت جام غضبها عليه.

قالت بحرارة:

- لا يمكنك أبداً أخذ مكان ديرك.. فلست نصف ما كان عليه. لن تستطيع أن تكون.. أنت.. ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

سألته بعدما شغل المحرك فجأة، وأدار السيارة إلى الخلف

بحركة عنيفة، أنبأتها غرائزها كلها بأنها خطيرة.

اعتقدت أنه سيعيدها إلى منزلها ولكنه تابع المسير حتى وصل أمام منزله.. وهناك خفف سرعته محولاً وجهة السيارة الكبيرة إلى الطريق الداخلية..

فصاحت مذعورة: «ما تظن أنك فاعل؟ من المفترض أن نذهب إلى العشاء.. وأن..»

قاطعها بشراسة وهو يوقف السيارة أمام الباب الخارجي:

- سأفعل ما كان علي أن أفعله منذ لقائنا الأول.. سأريك للمرة الأخيرة أن خطيبك ميت.. وأننا نحن على قيد الحياة.. لن تستطيعي التمسك بالماضي إلى الأبد ديلسي.. لقد آن الأوان لتعترفي بالحقيقة.. ديرك العزيز ميت.. ميت.. لن يستطيع أن يحتضنك بين ذراعيه.. مهما ادعيت أنك ما زلت على حبه، فالذكريات ليست البديل.

أمسك معصمها وهي ترفع يدها المفتوحة لتصفعه، فأوجعت قبضته عظامها الضعيفة.

قال لها بصوت أجش: مسرور أنا لأنك فعلت هذا.. فلقد سهلت عليّ أن أفعل هذا..

بدا لها ضغط ذراعيه حولها مألوفاً، سرعان ما اندفعت مشاعر حميمة سرت في كيانها كله. لا شك أن غضبها زاد من قوة مشاعرها، فأخذت تقاوم بشراسة تعادل حدة هجومه ولكن لم يكن بيدها ما تستطيع به ردعه عنها.

ما الذي يملكه هذا الرجل حتى تفقد سيطرتها على نفسها؟ الطريقة التي كانت فيها أصابعه تشتد على ظهرها، أم راحتاه اللتان تضغطان كتفيها. ها هي الأحاسيس التي تشعر بها تصبح

www.liilas.com

مذلة ولكن وبا للصدمة لم تشعر بالذل.. بل الواقع، أن غضبها أشعل فيها سلسلة من ردات الفعل. كانت تقودها إلى نوع من التمازج البيولوجي الذي قاد بدوره إلى تغيير مشاعرها نحوه.. وفيما هي ضائعة في أحاسيسها، صدمها أن يتركها. التفت أصابعه بحدة حول ذراعيها يبعدها عنه.. وعندما أعدت نفسها لتعليقه فاجأها ما قاله بفظاظة:

ـ لا أدري ما هو هذا الذي فيك، هذا الذي يجعلني أشعر بهذه المشاعر الغريبة، لا أعرف يا ديلسي إلا أنك المرأة الوحيدة التي تجذبني إلى حد الجنون.

مال إلى الإمام يلمس ثغرها بأصابع مرتجفة ثم قال:

ـ يجب أن نتكلم.. إنما ليس في الخارج.. فلندخل.

وكأنها فقدت فجأة القدرة على الحركة بعيداً عن الاعتماد عليه فتركته يقودها من السيارة إلى المنزل المظلم. أضاء مصابيح الردهة، ثم فتح باب مكتبه، هذا دون أن يرفع ذراعه عنها، سارت معه في الردهة مصدومة من كلماته المفعمة بجرح عميق. جلست في أحد المقاعد وهي تراقبه بعينين متسعتين من الدهشة.

اتسمت حركاته بالتوتر الذي قد تراه في رجل أقل عداوة وثقة بالنفس. ولكنها اعتبرت تفكيرها في أن هناك امرأة قادرة على جعله عصبياً فكرة سخيفة.

الآن، وهي بعيدة عن ذراعيه، بعيدة عن السحر الذي يرميه على أحاسيسها، شعرت بعودة عدائها السابق وامتعاضها.. إنها تفضل صرف النظر عن المشاعر التي اشتعلت بينهما في السيارة.

قال لها:

ـ أردت قتلك عندما قلت إنك اشتريت هذا الفستان له..

كانت كلماته صريحة فعلى وجنتيه احمرار يكاد يحرقهما وعلى فمه قسوة وفي عنقه النبض القوي بارز للعيان. أردف بالصراحة والقوة نفسيهما:

ـ أريدك ديلسي.. أردتك منذ وقع بصري عليك. والأنكى أنني أشعر بأنني أقع في حبك.

مضت بضع لحظات قبل أن تستوعب كلماته.. وعندما استقرت في رأسها، لم تستطع القيام إلا بالتحديق إليه بذهول وعدم تصديق.. إنه يقع في حبها؟ مستحيل! فتحت فمها لتقول له هذا، فأدهشها عنف الغضب والخوف الذي شملها فجأة.. كيف يجرؤ على الإيماء بأنه أحبها؟ نعم، لقد أحبها ديرك وأحبته، ولكنه لم يعاملها يوماً كما يعاملها براد.. كان ديرك يوقرها ويحترمها.. ولم يمسسها يوماً برغبة وغضب.. كان ديرك.. ديرك..

علقت غصة ألم في حلقها.. واجتاح مشاعرها إحساس ملؤه الخوف والخيانة.. كيف يجرؤ هذا الرجل على ادعاء وقوعه في حبها؟ كيف يجرؤ على إغوائها لتبتعد عن ذكرياتها العزيزة؟ لا تريد حبه! بل لا تريد حب أحد!.. لم تعترف لنفسها بأن في عقلها الباطني خوف من أن تقع في الحب ثانية، فيعود الألم من جديد إذا ما أصاب هذا الحبيب الجديد شيئاً. لقد اجتازت مرحلة الألم لذا لن تريد أن تجتاز هذه المرحلة من جديد.

قالت بمرارة كانت موجهة إلى نفسها بمقدار ما هي موجهة إليه:

www.liilas.com

ـ أتحاول القول إنك وقعت في حبي بعد لقائين اثنين فقط؟

لو لم تكن غاضبة لأذهلها احمرار وجهه.

قال ساخراً من نفسه:

ـ أعرف أن هذا بعيد الاحتمال.. ولكنه مع ذلك صحيح.. لست سريع التأثر ديلسي.. وأعترف أن الوقوع في حبك لم يكن ما أتوقعه. ولو أمعنت النظر لافترضت أنه أمر لم يكن ليحدث وحتى أكون صادقاً أعترف أنني لم أندم عليه.. لقد رأيت ما يفعله الحب كثيراً لذا لم أستسغ طعمه في حياتي.. ولكن على ما يبدو أن للقدر أفكار أخرى. المشاعر التي أكنها لك لا يسهل عليّ شرحها أو تحديدها.. ولكنني أعرف نفسي معرفة تجعلني متأكداً من صحة مشاعري.

مال إلى الأمام يمسك ذقنها قبل أن تبتعد فاضطرت إلى ملاقاة عينيه.

أضاف بعذوبة: «وأنت تشعرين تجاهي الشعور ذاته».

تخبط الخوف في معدتها.. فكذبت مذعورة تحاول أن تتخلص منه:

ـ لا أشعر بشيء.. بأي شيء نحوك.

لكن يده تسللت إلى مؤخرة عنقها، لتمنعها من الحركة فقالت:

ـ أنا أحب ديرك.. طالما أحببته، وسأظل أحبه.

قال بحدة لاسعة: «أنت تحبين رجلاً ميتاً.. تحبين ذكرى ديلسي.. رجل لا يمكنه احتضانك بين ذراعيه.. ولا يستطيع بعث المشاعر فيك».

ـ توقف! توقف! لا أريد سماع المزيد!

ـ لماذا؟ ألأنها الحقيقة؟ أنت تتعلقين بحبيبك الميت لأنك تخشين أن تسمحي لنفسك بمشاعر جديدة.. أنت لا تحبينه، على الأقل ليس كما أحدد أنا الحب.. أراك تتعلقين بخيال آمن.. لأنك خائفة من مواجهة عالم الحقيقة.

ـ لا.. لا.. أنت مخطىء.

كادت تبكي وهي تقول تلك الكلمات.

قال لها: «تنكرين؟ إذن ما تفسيرك لهذه.. هذه المشاعر بيننا؟ أتنكرين أن بيننا مشاعر جيّاشة».

أحست بأنها تتورد تحت بريق عينيه المحترق الذي لم يشعله البرود بل الحرارة الشديدة والغضب المرير.

ردت تدافع عن نفسها:

ـ الرغبة.. إنها رغبة جسدية بحتة.

سرعان ما عرفت أنها أخطأت. فقد ظهر طيف ابتسامة على شفتيه.. وازداد عمق بريق عينيه، ثم أحنى رأسه نحوها، واندست أصابعه بين شعرها.. اشتعلت فيها نار أجبرتها على خنق آهة في حنجرتها. أمسكت يده ذراعها، فتفاعل في أعماقها رد فعل قوي صدمها وأشعرها بالخجل.

بدا لها أن دهراً مرّ قبل أن يتركها.. ارتجفت بعنف وهي تفتح عينيها، لترى وميض الانتصار في عينيه.

ـ إذن.. هي رغبة بحتة فقط؟

عليها أن تحطم هذا الانتصار.. عليها أن تؤلمه كما يؤلمها بدفعه إياها إلى نسيان ديرك.

قالت: «أجل.. هذا كل شيء.. سأرافقك إلى الفراش إن كان هذا ما تريده.. ولكنني لا أحبك».

www.liilas.com

حبست أنفاسها لبرهة، مذهولة من تهورها.. راقت عيناه نقسوان، وفمه يلتوي بقسوة ظاهرة.

- إذن، أنت على استعداد للذهاب معي إلى الفراش؟ لماذا؟ لتخففي من إحباطك الذي سببه موت رجل؟ آه!.. لا ديلسي لن ألعب معك هذه اللعبة. يؤسفني أن أخيب أملك.

ثم أخضعها لتأمل وقح:

- أخشى أن تكوني مضطرة للاحتراق.. سأعيدك إلى بيتك الآن. فكري في الليلة عندما تنفردين بنفسك في فراشك البارد.

كانت مشاعرها غير مضبوطة أبداً فهي مزيج من الشوق والكراهية.

- ليس فراشي بارداً.. ولن أكون فيه بمفردي براد.. فديرك حي في ذاكرتي وقلبي..

خالته لوهلة يوشك أن يضربها فقد رأت عضلاته تتوتر تحت محاولته المتوحشة للسيطرة على نفسه. عندما كانت تفتح الباب لتخرج إلى الردهة، تمنت لو ضربها.. لقد أراد جزء منها أن ينهجم براد عليها جسدياً بضربة. فذاك كان سيعطيها عذراً حقيقياً لتحتقره وتكرهه.. ولكن عندما كان يقلّها إلى منزلها كان الشخص الوحيد الذي تكرهه هو نفسها.

كانت قبولا ودبلون لحسن الحظ منشغلان ببعضهما بعض، بحيث لم يبديا غير قلق بسيط على العذر الذي ادعته بشأن عودتها باكراً، وكان العذر ادعاء الصداع. ما إن أصبحت بمفردها في غرفة نومها، وفي سريرها حتى تمكنت من التفكير في إمكانية وقوع براد في حبها. هي تخاف أن يقع في حبها وما خوفها إلا نابع من اعتراف داخلي بمدى ضعفها وهشاشتها.

ارتجفت.. إن كانت معرضة للخطر أمام براد فالسبب الرغبة لا الحب وهذا يعني أنها لا تحبه بل لا تريد أن تحبه.

بدا لها أن من غير المعقول أن تثير هي فيه مثل تلك المشاعر العميقة في فترة قصيرة.. فقد وقعت هي وديرك بالحب تدريجياً. ولكنها تعرف كذلك أن براد لم يكن يكذب عليها، لأن مشاعره كانت مكشوفة أمامها بشكل واضح، فالحقيقة مرسومة في عينيه. صدمها للمرة الأولى كم من الصعب على رجل مثله الاعتراف بالحب. يبدو أنه لم يخطر بباله أن هذه المشاعر قد لا تكون متبادلة؟.. وهذا أمر يناسب غروره وتعجرفه.

وجدت الراحة من عقدة ذنبها في هذه الفكرة.

* * *

www.liilas.com

٦ ـ مشاعر ليلية

في الأيام الثلاثة التالية لم يشاهدا براد أو شقيقته ڤيولا عندئذ أقنعت ديلسي نفسها بأنها مسرورة لقرار براد القبول بواقع عدم اهتمامها به.

جعلها الجو العاصف بعيدة عن الحديقة ولكن كان في المنزل أعمال كثيرة. على أي حال، لم تكن ديلسي واثقة بأن عليها هي اختيار ديكوره الداخلي.. عندما أصبحت بمفردها مع ديلون بعد ظهر أحد الأيام قررت إثارة الموضوع معه..

ـ لم نرَ ڤيولا مؤخراً.

راقبته يعبس:

ـ طلبت منها البقاء بعيداً.

عندما رفع بصره رأى الصدمة في عيني ديلسي.. تحرك بقلق في كرسيه، ثم قال لها:

ـ لا فائدة ديلسي.. ماذا لدي لأقدمه لامرأة؟ لن تعود سافاي إلى سابق عهدهما.. وسأقضي فترة كبيرة من حياتي في هذا الكرسي. ولدي ابنة في السادسة من عمرها.. لو كانت ڤيولا أرق حالاً وأقل حساسية أو أقل لتعرضاً للألم..

قالت بهدوء: «لو كانت كما تقول، لما أحبتها.. أنت

تحبها ديلون»..

ـ أحبها أكثر من أن أربطها بي. حالتي المادية جيدة ولكنني لا أستطيع أن أعرض عليها ما ينافس ما يوفره لها براد.

قالت: «لا.. لكنك قادر على منحها ما ترغبه أكثر بكثير.. إنها تحبك.. ولولا وثوقي من حبها لك لوافقتك الرأي بالنسبة لما تفعل والأنكى أنك تحبها.. بإمكاني أن أتدرب من جديد على السكرتيريا وأحصل على وظيفة...»

قاطعها بفظاظة: «سيبقى منزلك منزلي دائماً ديلسي.. وهذا ما تعرفه ڤيولا.. لو كنت واثقاً بأن دافعها غير الشفقة..»

اشتدت عضلات وجهه والتوت توتراً وهو يضيف:

ـ عرضت عليّ أن تقلني إلى المستشفى في «دورشستر» للمعاينة غداً ولكنني قلت لها إنك ستقلينني..

ترددت لحظة، ثم قالت ببرود:

ـ إذن، من الأفضل أن تتصل بها وتقول لها إنك غيرت رأيك. لأنني لن أقلّك، فلدي موعد خاص لا أستطيع إلغاءه بعد ظهر الغد.

ابتسم مازحاً: «مع براد؟ آها.. ظننتك محصنة ضده! ستسر ڤيولا كثيراً لأنها مقتنعة أنك الفتاة المثالية له، تقول إنها لم تره قط بمثل هذه الحالة تجاه امرأة».

كان اختلاقها هذا الموعد الزائف وليد لحظته لقد عزمت النية على منح ڤيولا فرصة لإقناع ديلون بأن مشاعرها صادقة.. ولكنها ذعرت حالما وجدت ديلون يستنتج استنتاجات خاطئة من وراء موعدها المزعوم.

عبس ديلون من جديد وكانت حركاته عندما نهض من

www.liilas.com

كرسيه ليتجه ناحية الباب الزجاجي متوترة.

- لا أستطيع الاتصال بها لأقول لها إنني غيرت رأيي! فما قلته كان حاسماً. قد تظن أنها مهتمة بي، ولكنها لا تعرف شيئاً عن الحياة مع رجل نصف مقعد.

ردت بيرود: «ربما لا.. إنما كيف تعتقد أن لك الحق في اتخاذ القرار نيابة عنها فيما يتعلق بقدرتها على معايشة واقعك، أنت غير منصف.. ديلون.. لو كان الوضع معكوساً هل كنت ستبقى على حبها؟»

قال فوراً: «بالتأكيد».

كشر عن وجهه، ثم نظر إلى ديلسي بحاجبين مرتفعين:

- حسناً، بلغتني رسالتك ديلسي.. ولكن الأمر أنني..

- المسألة أنك تترك كبرياءك تعميك عما تسببه من ألم لڤيولا برفضك إياها.. أعتقد أنك تفكر في الزواج.. لا..

صاح: «بالتأكيد. ماذا تعتبرينني ديلسي؟ لقد تلقت من الضربات في حياتها ما فيه الكفاية، هذا دون أن أضيف إليها شيئاً. أنها غير آمنة نفسياً، فكيف تشعر بالسعادة في علاقة قد تراها غير دائمة».

- لا.. هذا صحيح.. اذهب واتصل بها ديلون.. قل لها إنك غيرت رأيك، وإنك تحب أن تقلك هي إلى المستشفى.. دعها تقرر ما إذا كانت قادرة على العيش معك. لا تتخذ عنها قراراتها.

حبست أنفاسها وراقبت أخاها يلتقط سماعة الهاتف.. كان يحفظ الرقم غيباً.. ولا بد أن ڤيولا ردت على الرنين فوراً.. كان صوته أجش وهو يلفظ اسمها.. ابتعدت ديلسي بهدوء عن

مرمى السمع لتتركه بمفرده.

لم يكن ناجحاً كل النجاح إذ بدا ذلك واضحاً في اليوم التالي، عندما أوقفت ڤيولا سيارتها في الخارج. إذ بدت شاحبة متوترة، متألمة.

أقبلت كيلي مسرعة من غرفتها لتحيي الزائرة.. ثم رمت نفسها بحماس بين ذراعيها، وقالت لعمتها:

- لدى ڤيولا دمى كالتي عندي.. وقد وعدت أن تريني إياها..

ابتسمت ڤيولا بوهن: ليس اليوم لأنني سأقلّ أباك إلى المستشفى.

عندما كانت ديلسي تراقبهما خفية، لاحظت أن ڤيولا لم تحاول مساعدة ديلون في الصعود إلى السيارة.. بل امتنعت عما قد يسبب تلامسهما، أدركت ديلسي ما تعانيه ڤيولا.

فالنساء جميعهن إن آجلين أصبحن معرضات للألم ذاته.. كل بنات جنسها يعرفن كم يكون الألم مدمراً. لقد وقعت في الحب مرة، وعرفت معنى الألم عندما انتزعت المأساة ديرك منها.. ولهذا قررت ألا تقع في الحب مرة أخرى.

قررت؟ وقفت على الدرج على قدم واحدة. ولكنها لن تقع في الحب وإن أرادت لأنها تحب ديرك. أليس كذلك؟

عندما عاد ديلون وڤيولا من المستشفى، كان واضحاً أنهما سعيدان. سأل ديلون ديلسي إن كانت لا تمانع في البقاء مع ديلون ليصطحب ڤيولا للعشاء.. عندما كانت تراقب سعادتهما، وهما ينطلقان معاً بعد عدة ساعات، قالت لنفسها إن الحسد ليس ما جعل قلبها مثقلاً بالألم.. إذ كيف تحسد ديلون وڤيولا

www.liilas.com

على ما أقسمت على عدم الوقوع فيه ثانية.

كان الوقت متأخراً عندما عادا.. في أثناء احتساء القهوة لم تستطع ديلسي إلا ملاحظة النظرات واللمسات التي تبادلاها. وما إن وجدت عذراً حتى خرجت.

في الواقع، لم تكن تشعر برغبة في النوم.. كانت مشحونة بطاقة ملؤها التوتر والقلق، ومضى وقت طويل قبل أن ترحل ڤيولا.

حاولت استحضار ملامح وجه ديرك المألوفة فباءت المحاولة بالفشل وبدلاً من صورة ديرك طالعتها صورة براد بحيث ملأت أفكارها وأحاسيسها.. كان طيفه يعذبها حتى اضطرت إلى دفن رأسها تحت الوسائد في محاولة لإبعاد صورته الدخيلة.

وجدت ديلسي مع مرور الأسبوع أن توترها لم يخف. فكلما حاولت تهدئة نفسها بالتفكير في ديرك طالعتها ملامح براد القوية بحيث تقف حائلاً بينها وبين ذكريات حبيبها الميت.

لامت براد على عدم قدرتها على تذكر ديرك.. هكذا كانت ممزقة بين عدم رغبتها في رؤيته مجدداً، وبين رغبة حارقة في رؤيته لتطالبه بالتوقف عن تعذيبها.

مساء الجمعة، جلست بمفردها ثانية تعتني بكيلي لتسمح لڤيولا وديلون بالخروج معاً.

دفعها الجو العاصف الذي أصبح ثقيل الوطأة، إلى الفراش باكراً. شعرت بصداع أليم فتناولت أقراصاً مسكنة ساعدت على النوم سريعاً. لكن حدة أحلامها، أيقظتها فجأة، بعد ساعة من رقادها.

كان حلمها حقيقياً تقريباً. فقد مرت دقائق قبل أن تدرك أنها بمفردها في فراشها.. وأن براد غير موجود معها.

كاد حلمها يكون حقيقياً علماً أنها لم تستطع فهم سبب تواجد براد معها ولو في الحلم.

عندما عادت إلى الوعي تماماً أدركت كم تتألم.. ضغطت يديها على وجهها فأدركت مدى تأثرها، وأحست أن حنجرتها تكاد تختنق بالدموع التي لم تذرفها. كان صداعها أسوأ مما كان.. صاحت صيحة ألم وعذاب ثم تركت السرير وارتدت روبها، ودنت من النافذة.

كان هواء الليل في الخارج حاراً وساكناً يشوبه توتر ينذر بعاصفة رعدية.. بعد الرعد تأتي راحة المطر فينتعش الجو ويخف التوتر. إنما لا مجال على ما يبدو لتخفيف توترها هي.

لم تكن هذه المشاعر المجنونة المسعورة التي تدفعها إلى الغرق مألوفة لها.. لكن، لا شك أنها اختبرت مثل هذه المشاعر نفسها مع ديرك؟ لكنهما لم يكونا.. مع أنها أحبته.. لقد كان يحميها ويحيطها بالحنان بعيداً عن أي شيء آخر لأنه يعرف أنها عذراء. لقد أراد المحافظة عليها حتى زواجهما.

ربما لأنها كبرت تشعر بهذه المشاعر.. أو ربما لأنها خسرت ديرك إلى الأبد.

فيما كانت تنظر من النافذة رأت نوراً يضيء أحد مستنبتات براد الزجاجية.. فتراجعت إلى الوراء فوراً. مع أنها تعلم أن من المستحيل على أحد أن يراها.. لقد أخبرتها ڤيولا في وقت من الأسبوع أنه مسافر لمقابلة بعض الزبائن، ويبدو أنه عاد الآن.

سرت قشعريرة غير مرحب بها في بشرتها فارتعشت. لماذا

www.liilas.com

رأت براد في منامها؟ ولماذا تشعر ببشرتها تحترق مجدداً. ارتدت إلى السرير تبرر لنفسها أن لذلك علاقة بالمسكن الذي تناولته من أجل الصداع.

أمطرت السماء ليلاً فأيقظها قصف الرعد في ساعات الفجر الأولى ولكنها عادت فغفت وعندما استيقظت أخيراً استحمت وارتدت ملابسها، ثم نزلت إلى الطابق الأرضي متوجهة إلى المطبخ وهناك وجدت ڤيولا غارقة في حديث مع ديلون الذي ابتسم لها ممازحاً:

- مرحباً يا ثقيلة النوم، أتريدين القهوة؟

ردت بقلق: «برميلاً، على الأقل.. هل أمضيتما وقتاً طيباً ليلة أمس؟»

نظرت إليهما فرأت النظرة المتبادلة بين ڤيولا وديلون.. سرعان ما شعرت بغيرة غير منطقية ومؤلمة.

قال ديلون: «بإمكانك قول هذا».

أضاف بافتخار: «لقد وافقت ڤيولا على الخطوبة».

رفع يد ڤيولا إلى فمه بحنان وحب فشعرت ديلسي بأنها تكاد تختنق ولكنها تمكنت أن تقول:

- أرجو ألا تتوقع مني الدهشة.

وتقدمت لتعانق ڤيولا، ولتقبل أخاها.

الواقع أن حلقها لم يجفّ بسبب خطوبة ديلون لڤيولا ونسيانه الماضي بل لمعرفتها بأنها وأخاها أصبحا الآن على طرفي نقيض. أقنعت نفسها بأنها لم تشعر بالغيرة وهي ترى نظرات الحنان المتبادلة بينهما وكيف تغار؟ على أي حال، لو أرادت علاقة عاطفية لحققتها مع براد.

سمعت نفسها تعلق بإشراقة لڤيولا، مع أن هذا آخر ما ترغب في قوله.

- أرى أن براد قد عاد، فقد كان النور يشع من إحدى نوافذ المستنبت ليلة أمس.

- أجل.. عاد قبل أن أخرج مع ديلون مباشرة.. وآمل أن يضعه خبر خطوبتنا في مزاج أفضل من المزاج الذي هو عليه في هذه الأيام.. الواضح أن شيئاً ما يزعجه، ولكنني لا أعرف ماهيته. إن سوء الخلق أبعد ما يكون عن طبعه. لقد عانى من مشاعر كثيرة في عمله.. لكنني لم أره قط وغضبه مشحون.

ضحك ديلون: «إنه بحاجة إلى امرأة في حياته».

بدا الحزن على ڤيولا: همم.. كان والده وأمي يأملان منذ زمن بعيد في أن يتزوج.. تخشى أمي أن يكون لموت أمه تأثير درامي فيه، بحيث لا يترك لنفسه مجال المخاطرة برباط عاطفي عميق. أنا أخبركما بذلك لأنكما عانيتما التجربة ذاتها، تجربة فقد شخص عزيز، يكره أن يظن أحد أنه قابل للقهر.. ولكنه في أعماقه رومانسي حساس. والآن وقد أصبحت خارج نطاق مسؤولياته قد يفكر جاداً في البحث عن زوجة. إنه بحاجة لمن تشاركه مسؤولية المنزل، الذي هو رغم جماله، مسؤولية كبيرة.. إن صيانة المنزل تنهب المال نهباً.

قالت ديلسي بخفة: «الواضح أن ما يحتاجه هو زوجة ثرية جداً».

عبست ڤيولا، وقالت بصوت جاد.

- آه! لا.. ديلسي.. براد لن يتزوج أبداً من أجل مكسب مادي. هو قديم الطراز.

www.liilas.com

- تقصدين أنه يريد سيدة بيت صغيرة مطيعة تتركه يتخطاها؟

عرفت ديلسي من تورد وجه ڤيولا سخطاً، أنها لم تسر بسؤالها.

قالت بجفاء: خلتك وبراد معجبين ببعضكما بعضاً.. ولكن يبدو أنني مخطئة.. أرجوك سامحيني.. يبدو أنني أضجرتك بشؤون عائلتي ديلسي.

ابتسمت ابتسامة باردة ثم التفتت إلى ديلون:

- من الأفضل أن أعود الآن حبيبي، أما زلت تريد أن تزف الخبر لكيلي وقت الغداء كما خططنا.. أم..

رد بحزم: لقد رتبت الأمر.. حجزت طاولة في مطعم «التور» وقلت لكيلي إنها مناسبة خاصة جداً.. أشك في أنها تعلم شيئاً عما سيحدث. سألتني ليلة أمس إن كان سيرسل لها الله أماً جديدة في وقت قريب.

بعدما راقب ديلون ڤيولا تبتعد بسيارتها، ارتد عن النافذة وقال بحزم:

- كنت قاسية في كلامك عن براد، ديلسي.

- آسفة إن أزعجت كلماتي ڤيولا.

كان صوتها خالياً من أية نغمة.. ولكنها في الواقع كانت تشعر بالذنب إلى أقصى حد. فقد جعلها رد فعل ڤيولا الهادىء على تعليقها تحس بالقلق من سوء تصرفها..

قال ديلون مطلقاً:

- هي تحب أخاها. يجب أن أعترف أنني مثلها، ظننتكما على وفاق.

ردت بحدة: «أتقصد أن في سماء حياتي حب جديد؟ لا يا

عزيزي فلست مثلك ديلون.. لا أستطيع إجبار نفسي على نسيان الماضي والبدء من جديد».

بدا غاضباً، فالتفت إليها يمسك ذراعها:

- رويدك، رويدك.. إن كنت تشيرين إلى أنني بزواجي بڤيولا، قد أنسى هيلين وحياتي معها فأنت مخطئة كثيراً، لأنني اتفقت وڤيولا على أن تترعرع كيلي وهي تشعر أن بإمكانها التكلم بحرية عن أمها.. كانت هيلين جزءاً مهماً من حياتي قبل لقائي بڤيولا.. وسيبقى لها مكان دائم في قلبي. إن زواجي بڤيولا لا يعني أبداً مسح الماضي وإلغاءه.. أحب ڤيولا بشكل مختلف عن حبي لهيلين فقد كنا شابين يافعين يوم تزوجنا وليس منا من عانى ما عانيته أنا وڤيولا. ستكون علاقتنا مختلفة.. علاقة «مختلفة» ديلسي.. لن تكون أفضل أو أسوأ بل ستكون بكل بساطة «مختلفة».. أتعلمين أنت متعلقة بالماضي تعلقاً يدفعني إلى التساؤل عن سبب خوفك من التخلي عنه.. فما هذه هي الحياة التي قد يتمناها لك ديرك..

- وكيف تعرف ما قد يتمناه لي ديرك؟

صدمها ما قالته ولكنها سمعته يجيب:

- أعرف، لأنه كان صديقي مدة طويلة قبل أن يكون خطيبك. لقد جلست أراقبك وأنت تضعينه فوق قاعدة مثالية ديلسي.. ولكنني أقول لك الآن إن ديرك الذي تقدسينه في ذاكرتك، لا يحمل شبهاً كثيراً لديرك الذي أعرفه خير معرفة. كان بشراً حياً يتنفس.. وليس نصف قديس.

- اصمت! لا أريد سماع المزيد!

غطت أذنيها بيديها وهرعت من الغرفة لا تلوي على شيء.

www.liilas.com

عندما غرقت في فراش سريرها وبخت نفسها على تصرفها المراهق.. وهذا كله غلطة براد.. فقد كانت راضية قانعة.. أما الآن..

أما الآن فتسيطر عليها مشاعر عنيفة.. مشاعر قوية بحيث تجعلها متوترة سريعة الغضب، تدفعها إلى الشجار مع ديلون وتكدير ڤيولا.. تأوهت آهة خافتة، ثم دفنت رأسها بين يديها.. ربما الطريقة الوحيدة التي ستتخلص فيها من مشكلتها هي الاستسلام لها. صدمها هذا الاعتراف الذي اعترفته لنفسها مجبرة فتوجهت إلى النافذة.

كانت كيلي في الحديقة تلعب مع الكلب.. عندما يتزوج ديلون وڤيولا لن يكون لها مكان هنا.. وستضطر إلى البحث عن مكان آخر لتعيش فيه وعن وسيلة لتعيل نفسها. بعد وقت قصير ستعود ڤيولا لتصحب ديلون وكيلي إلى الغداء.. نظرت إلى ساعتها.. أمامها وقت لتعدّ كيلي.. إنها كديلون، لا تتوقع من الطفلة اعتراضاً على قبول ڤيولا أماً بديلة لها. لقد أظهرت في أكثر من مناسبة كم تحب ڤيولا. وڤيولا ليست ممن يفرق بين ابنة زوجها وبين طفلها الذي قد تنجبه من ديلون.

ستنزل لتعدّ كيلي، ولكن عليها أولاً أن تتصالح مع ديلون.

اعتدلت ثم نزلت إلى غرفة جلوسه.. وكان الصلح أسهل مما تصورت.. فقد كان ملهوفاً إليه أكثر منها..

قال وهو يعتذر بصوت أجش:

- أنا آسف إن كدرتك. ولكن، منذ التقيت ڤيولا، بدأت أدرك ما تفعلينه بنفسك ديلسي.. أنت تحولين نفسك إلى راهبة، وهذا ما لا يريده لك ديرك..

ردت بخفة: «ربما هذا ما أرتضيه لنفسي».

- إذا كان دافعك الجبن فقط، فلن يأتي يوم ترتبطين فيه برجل بسبب خوفك.. لا تظني أنني لا أعرف هذا أو أنني لا أتعاطف معك.. إنما حاولي أن تفهمي ما تفعلينه بنفسك!

- قد نمضي في هذا الجدال حتى آخر العمر.. ونبقى مع ذلك على طرفي نقيض.. لقد اخترت طريقك في الحياة، يجب أن تتركني أختار طريقي. سأعدّ كيلي لأحضرها للخروج، أنت تستحق أن تكون سعيداً.. وأنا آسفة لأنني بدوت فظة عنيدة.. أعرف أن زواجك بڤيولا لا يعني أنك نسيت هيلين.

- لا.. ولا أظن أن زواجك برجل آخر قد ينسيك ديرك.

رأى نظرة التشتت تطبق على وجهها وتنهد:

- حسناً، من الآن فصاعداً سنعتبر هذا الموضوع من المحرمات.. إنما هناك ما أريد أن أضيفه ديلسي، اتفقت أنا وڤيولا على أن هذا المنزل سيبقى منزلك.

هذا ما يقوله الآن ولكنها تعرف أنه سيأتي وقت يريد فيه أخوها هذا المنزل له ولعائلته فقط.. على أي حال، لا فائدة من مناقشة هذا الموضوع حالياً.

سألت: «متى قررتما الزواج؟»

- في أسرع ما يمكن. فنحن لا نرى سبباً يدعونا للانتظار.. سيكون بالتأكيد هناك مشكلة في أن يجد براد من تحل مكان ڤيولا في عملها.. ولا أعتقد أنك قد تفكرين في المحاولة؟

www.liilas.com

ردت بحزم: «لا محالة».
أتعمل عند براد؟ إنها ترتجف من مجرد الفكرة!

* * *

٧ ـ أنا وهو!

لم يجلُ الرعد الجو كما توقعت ديلسي بل كان غير فعال فما زال السكون الكسول الهامد يسيطر على الجو.

كانت تستند إلى سياج الحديقة تكلم الحمار عندما سمعت هدير سيارة ڤيولا، ثم شاهدت بريق أشعة الشمس عندما فتح ديلون الأبواب الزجاجية لتلحق به ڤيولا.

إنها مختبأة عنهما وراء دغلة مزهرة شائكة، زرعها شخص ما لتخفي الزريبة عن الحديقة.. ولكن على ما يبدو أنها تأخرت في الرد على نداء ديلون، لأنها حينما خرجت من وراء الدغلة شاهدته يضم ڤيولا بين ذراعيه.

لم يكن في عناقهما شيء من التردد. دل منظرهما عن غيابهما عن كل ما يتجاوز حاجتهما لبعضهما بعضاً، وهذا ما أشعرها بحرمان رهيب يكاد يمزق نفسها. لم تدر أنها كانت تركض في الحديقة إلا بعد فترة.

من دلائل انشغال كل منهما بالآخر هو عدم انتباههما لفرارها الصاخب. ولن تستطيع العودة الآن، لأنها إن عادت أحرجت نفسها فأحرجت ڤيولا.. لم تكن تعتبر نفسها مفرطة الاحتشام. ولكن ما تعرفه أنها لن ترغب في أن يراها أحد في

www.liilas.com

عناق حميم كهذا.

كان في نهاية الحديقة، حيث يتلامس السياج بحدود أرض براد، بوابة خشبية ثقيلة.. عضت على شفتها ثم أدارت المقبض، ودخلت. خلف العشب الخشن المتاخم للسياج، هناك عدة خيم كبيرة من النايلون، فيها نباتات.. شقت طريقها بين هذه الخيم بحثاً عن ممر يقودها مجدداً إلى الطريق التي تفضي إلى المنزل. ستتمكن بذلك من العودة دون أن يدري ديلون، أو ڤيولا، بأنها رأتهما. وإن سألا أين كانت فستقول إنها خرجت تتمشى.

كانت غارقة في أفكارها فلم تلحظ أن براد يتقدم منها بخفة النمر. كادت تصطدم به.. ارتجفت وجف اللون من وجهها فارتدت مرتبكة.

- حذار.. الممر وعر قليلاً هنا.

جعلها الإحساس بأصابعه على ذراعها تضطرب.. كانت أكمام قميصه مرفوعة حتى المرفق، فكشفت عن عضلات ذراعيه. فكرت بطريقة لا واعية أن ذراعيه مفتولتا العضلات.

جعلتها الرجفة المثيرة التي تسللت إليها تكاد تفقد توازنها. فتراجعت من يده، خوفاً من مشاعرها لا منه. عندما كانت تتراجع انزلق كعب حذائها على الممر، ففقدت توازنها ووقعت بقوة على كاحلها الأيسر.. كان الألم الذي شعرت به مؤلماً جداً بحيث لم تستطع كبح صيحة ألم.

ما هي إلا هنيهة حتى كان براد جاثياً على ركبتيه أمامها. راحت أصابعه تمر بقدرة ونعومة على كاحلها المتورم بسرعة..

قال: «لم ينكسر إنه مجرد التواء».

نظرت إليه وهو جاث عند قدميها، فشعرت بأغرب المشاعر.. تصاعد ما يماثل الحنان في داخلها.. وكادت تمد يدها لتلامس شعره الكث الأسود ولكن من حسن حظها أن تعقلها ردها:

- يجب أن أحملك إلى الداخل فكاحلك بحاجة إلى مغطس ساخن، ولا يمكنك الوقوف عليه.

كانت بين ذراعيه قبل أن تجد سبيلاً إلى الاعتراض.. جعلها تواجدها بين ذراعيه فجأة تتعلق به غريزياً. كانت ذراعاها متشابكتين وراء عنقه.

كانت إحدى ذراعيه تحت ركبتيها، والثانية حول خصرها. عندما أصبح أمام الباب الخلفي دفعه بقوة. سرت موجات الحرارة في جسمها بسبب شعورها بقربه منها مع إنه كان يتصرف بعفوية، كان يكل بساطة يستجيب لورطة غير خطيرة، ورطة كان سيستجيب لها مهما كان جنسها.

قال وهو يتابع المسير نحو المطبخ:

- سأحملك إلى فوق لألقي نظرة على كاحلك.

جعلتها الصدمة التي سرت فيها تحبس أنفاسها، فسألها:

- ما بك؟ هل صدمتك بشيء ما؟ لن يطول الأمر. أريد أن أتأكد أن بشرتك غير مجروحة فهذه الأتربة المليئة بالسماد قد تكون سامة.

سألته بحدة: «لماذا تستخدمها إذن؟»

- أولاً لأنها رخيصة.. ولكن من حسن الحظ أن لا أحد يتجول بينها بكعبين عاليين.. وبما أنني لا أتصورك تبحثين عني، فعمن كنت تبحثين؟

www.liilas.com

فيما كان يدفع باب غرفة النوم عضت ديلسي على شفتها غيظاً.. لن تستطيع أن تخبره الحقيقة..

قالت كاذبة: دفعني فضولي إلى رؤية ما في الجانب الآخر.

بدت لها الغرفة وكأنها غرفة ضيوف.

قال لها براد وهو يضعها على السرير:

- حملتك إلى هذه الغرفة لأن فيها حماماً خاصاً. سأقصد حمامي لأجلب بعض المطهرات والضمادات.

وقف ينظر إليها ساخراً.

- أحسست بالفضول؟ أمر غريب! الفضول بالنسبة لأمر ما هو آخر ما أتوقعه منك.

عرفت أنه يتعمد السخرية وقد لسعتها سخريته، ولكنها ظلت مشيحة عينيها عنه، تحاول ألا يرعبها جلوسه قربها. فقد أمسك قدمها بحذر بين يديه.

- همم.. لا أرى جلدك مخدوشاً ولكننا سنتظفه ثم نلقي عليه نظرة أخرى. لا تذهبي من هنا.

نهض واتجه إلى الباب.. لم يمض على ذهابه عشر دقائق، لكنها كانت مدة كافية لتنزل ديلسي عن السرير، وتبدأ التحرك نحو الباب الذي ما إن بلغته حتى انفتح إلى الداخل. أجفلتها الشتيمة التي أطلقتها شفتا براد.

سألها غاضباً: «ماذا دهاك؟ وإلى أين بحق الله تظنين أنك ذاهبة؟»

- أريد الهاتف، فسيقلق ديلون وڤيولا عليّ.

- توقفي عن القلق.. إنهما يعرفان أين أنت.. اتصلت بهما قلت لديلون ما حدث.. سأقلك عندما نربط كاحلك.. وأخشى

أن يؤلمك هذا.

وضع الصينية التي يحملها على الخزانة الصغيرة قرب السرير.. كان فيها قصعة ماء، مطهر، قطن، ورباط.

شعرت بدوار فتذكرت أنها لم تتناول طعاماً اليوم، ولكنها امتنعت عن إخباره فلو عرف لأجبرها على تناول شيء ما.

جلس قربها مجدداً، تمسك يده كاحلها أما الأخرى فكانت تعاينه بلطف.. عندما لمس موضع الورم انتفضت ألماً.. فقال لها:

- يجب أن نقص هذا الجينز إن كنت تتحملين خسارته.. فبذلك أجنبك الألم.

راقبته بصمت وهو يستخدم المقص بطريقة عملية ليقص نصف ساق الجينز ولم تدر لماذا شعرت بالخجل. نظر إليها وكأنه لا يفهم، وسألها متجهماً:

- ما بالك؟ لقد شاهدت أجساد نساء من قبل.

ردت بحدة واختصار: «إنما، ليس جسدي».

أحست بالإهانة لأنه عندما رفعها في الخارج، حاولت تحصين نفسها ضد ما قد يقدم عليه في الداخل.. لكنه بدلاً من هذا، يعاملها وكأنها غريبة عنه.

زاد غيظها من تسليته، فقد اتسعت ابتسامته.. أما ديلسي فقاومت لئلا تعترف كم يبدو جذاباً بهذا الوميض المرح في عينيه.

وبخت نفسها: ماذا دهاها بحق الله؟ لماذا تشعر به بهذه القوة مع أنه لا يشعر الشعور ذاته إذ يزعجه القرب منها.

ابتلعت ريقها بصعوبة تحاول إنكار تأثيره فيها، لكن الشعور

www.liilas.com

الذي كان يجعل معدتها تتقلص، رفض أن يزول.. أرادت أن تمد يدها وتلمسه، أن تتنشق رائحته.. أن..

في الواقع، كانت غارقة في معركة ضد مشاعرها لذا حينما تكلم انتفضت مذعورة.

قال: «مختلف؟ أم أن الأمر ببساطة أن لا حق لأي كائن بشري أن ينظر إلى جسد كان يخصّ القديس ديرك؟»

ضاعت في البدء عن مقصده ثم أدركت فجأة ما قال. فاحترقت بشرتها بغضب زاده اشتعالاً معرفتها بقوة مشاعرها المتضاربة تجاهه.

الواضح أن بالإمكان اشتعال المشاعر حتى بدون حب أو إعجاب.. وتساءلت بمرارة ماذا قد يقول لو عرف أن سبب ترددها شعورها بالوهن والضعف أمامه. لا شك أنه سيشعر بالتسلية إلى أقصى الدرجات خاصة رفضها إياه بتلك الطريقة.

لكن، وكما قالت له يومها كان ما أحست به تجاذب جسدي.. افتتان الفراشة باللهب.. ذلك الجزء من الطبيعة البشرية التي تنجذب دون تردد نحو ما تعرف أنه لن يفيدها أبداً.

كانت لمسات أصابعه على بشرتها وهو ينظف الكاحل ويضمده لمسات باردة عملية. فلم ينظر إليها ولا اهتم بإظهار أي نوع من الشوق غير المكبوت الذي شعرت به في الليلة التي اعترف فيها بأنه يحبها.

جعلتها الصدمة والألم وقلة الطعام تحس بالدوار.. بدا لها رأسها فجأة أثقل من أن يحمله عنقها، ووجد طريقه آلياً نحو الوسادة. أحست بأن كاحلها تُرك، وأحست بفقدان حرارة الشخص الذي كان يمسك به. حاولت الاحتجاج ولكن الكلمات

ثقلت وكأنما هناك ما عقد لسانها.. أحست بحركة في الغرفة ثم انطفأ النور، فغرقت في ظلمة نوم عميق، تسللت منه فيما بعد على مضض، تحس أنها مجبرة على الفراق عن حلم كان لذيذاً.. لم تكن فيه نائمة بمفردها، وكأنما كان معها شخص آخر يضمها، يتلمسها.. إنه ديرك بالتأكيد. لا.. ليس ديرك.. صحيح أنه كان في حلمها لكنه كان مثيراً للسخط إذ كان الحاجز الذي وقف بينها وبين الرجل الذي أرادت أن تكون ذراعاه حولها بيأس.. الرجل.. أي رجل؟ إنه براد!

سرت الصدمة في كيانها كما تسري التموجات السريعة فوق سطح بركة ساكنة. أحست برأسها مشوشاً وبأفكارها فارغة. كان كاحلها يؤلمها، إنما ليس كثيراً. نظرت إلى الغرفة فإذا هي مألوفة بالنسبة لها وقد زادتها ظلمة الستائر المسدلة.

تسلل الوعي إليها تدريجياً. كانت تحلم ببراد.. تحلم أنه معها، يغازلها. ولكن ديرك وقف بينهما، وبهذا خسرت براد.. ارتعشت ارتعاشة عنيفة وأطبقت عليها موجة عنيفة من الإحباط.. وحاولت يائسة التعلق بصورة ديرك المتلاشية.. لكن ملامحه لم تستطع إبعاد صورة براد من رأسها.

وطالعتها عوضاً عنها ملامح براد واللمسة التي تتذكرها على بشرتها.. مستحيل.. إنما لا مجال لنكران الشوق الحقيقي في أعماقها.. والحاجة القوية إلى أن يعانقها.

تحركت في السرير غير مستريحة، تحاول الفرار مما كان يقوله لها قلبها.. وامتدت يدها عن غير قصد إلى المصباح قرب السرير فأرسلته محطماً على الأرض.

من حسن الحظ أن أحداً لم يسمعه ولكن ديلسي كانت

www.liilas.com

جاثية على الأرض تنظر إليه عندما انفتح باب غرفة النوم ودخل براد..

قالت: «آسفة.. استيقظت وأوقعت المصباح».

كم بدت مرتبكة ومتوترة! لم تجرؤ على النظر إلى براد لئلا يشعر بحالتها الفكرية.

أضافت: «لا أدري كم الساعة الآن».

كانت تعطيه ظهرها عامدة لتحاول ملء الصمت الكثيف بشيء ما.. إنها تريد أن تفعل أي شيء قد يمنعها من الالتفات إليه خشية أن ترمي ذراعيها حول عنقه.. لكن.. ما خطبها بحق الله؟ إنها لا تحبه بل هي غير معجبة به؟ لكنها تريده.. يا الله.. ما أشدّ ما تريده!

رد عليها يقطع أفكارها:

- ليس الوقت متأخراً كثيراً.. نمت ساعة ونيف. على فكرة اتصل ديلون وقد اقترح أن تبيتي ليلتك هنا.

- هل عرفت أنه وڤيولا سيتزوجان؟

أبقت صوتها منخفضاً لئلا يسمع الذعر فيه.. ستبقى هنا الليلة! أوه.. يا الله.. كيف ستتحمل هذا؟ لم تكن تتعرف هذه المرأة الجديدة التي تتوق إلى الرجل الواقف وراءها، الرجل الذي تكاد تقف أمامه لتتوسل إليه أن يحبها.

- أجل.. وماذا ستفعلين عندما يتزوجان؟

ذكرها هذا بأنها لن تستطيع الإقامة إلى الأبد مع أخيها. نهضت ببطء وقالت بحذر:

- لست واثقة.. أعتقد أنني راجعة إلى لندن.. فهناك سأجد وظيفة.

فجأة، بدأ يلعن بحدة جعلتها ترتجف.. فتمسكت بالسرير ولكنها رفعت ثقلها على كاحلها المصاب دون أن تنتبه.

حدث ما حدث بسرعة فائقة.. التفت ذراعا براد حولها تدعمانها، بحيث لم تعرف ما إذا كان سببه قبل أو بعد ترنحها..

قال بصوت فظ: «ما كان عليك الخروج من السرير».

سرت رعشة كثيفة في عروقها.. أعمتها السعادة التي بعثها قربه الشديد منها.

همست بصوت مرتعش: «إذن، أنت مضطر لإعادتي إليه.. أليس كذلك؟»

أحست بالتوتر يحرك عضلاته وذلك في اللحظة التي أدركت فيها ماذا تفعل.. ولكن الذعر الذي استولى عليها ولى لأنها تذكرت ما قاله عن عدم رغبته في أن يكون معها.. لا بد أن مخيلتها المشحونة هي التي قالت لها ان نظرة الشغف في عينيه تعني شيئاً.. ولكن عندما مرر يديه ببطء على ذراعيها سائلاً:

- أيعني هذا ما أظنه؟

أذهلها وهي التي تمكنت من التعقل والسيطرة على نفسها بين ذراعي ديرك، أن تشعر بهذا التهور الذي يدفعها إلى التخلي عن كل تعقل كلما اقترب براد..

- ربما.

لم تكد تطلق هذه الكلمة حتى شعرت بخفقات قلبه المفاجئة ترقص بقسوة.

قال بصوت أجش وهو يشدها بين ذراعيه:

- أتعرفين ما توحينه إلي؟ لا.. لا تردي على هذا.

www.liilas.com

ما إن شعرت بالحرارة المندفعة من جسمه حتى اندفعت تقول:

- ظننتك لا تريد هذا.. لا تريد إقامة علاقة معي من أجل مشاعر عابرة.

- وهل هذا ما قلته؟

أبعدها قليلاً عنه لينظر إلى عينيها بملامح حزينة. ارتفعت يداه تمسكانها بوجهها وراحت أصابعه تعبث بوجهها. ثم اقترب منها أكثر.. عرفت ديلسي أنها تريده بقوة.

سمعته يتأوه بصوت مثير أجش.. ترى هل أحدهما من يرتعش بين ذراعي الآخر أم أنهما معاً يرتعشان من الحب؟

تمتم: «ربما أنت على حق.. وربما ما بيننا مجرد جاذبية.. يجب أن تتغاضي عن تصرفاتي الرومانسية الحمقاء.. فهي ما أعمتني عن الحقيقة».

هل في صوته مرارة أم احتقار؟

أضاف: «أعرف أنك تجدين ما بيننا لا يقاوم وهذه حالي أنا أيضاً».

تأوهت آهة وكأنها خارجة عن شخص آخر.

- أجل.. أجل..

اعترف الآن أن ما بينهما مجرد تجاذب.. وهذا ما يسهّل عليها الأمر.. فلا يعتبر انجذابها خيانة لحب ديرك.

- أهذا كل ما تريدينه مني؟

اخترق صوته الأجش أفكارها.. فرفرفت عينيها بقلق، وركزتهما على حرارة عينيه، لتقول باضطراب: «لا أريد منك

جعلها الصوت الذي صدر من أعماق حنجرته ترتجف، وتتلصت كل عضلات جسمها.

وهمس قرب أذنها: «كذابة.. أنت تريدين هذا..»

جعله تجاوبها يضحك.

رمت ذراعيها حول عنقه متأوهة ثم جذبت رأسه ليستريح على عنقها.. ظلّ للحظات طويلة سلبياً أمام نهجمها، ثم رفع رأسه عنها وتمتم:

- وأنا كذلك! فليساعدنا الله!

طالما استمتعت بعناق ديرك ولكنها لم تشعر قط معه بما يدفعها إلى تجاوز العناق.. كانت تترك لديرك حرية أن يدير الخطوات.. لكنها تعرف الآن أن الأمر مختلف مع براد.

في تلك اللحظة شعرت به يبتعد عنها. كانت أنفاسه منحشرجة غير متساوية أمام أذنها وهو يرفع رأسه.. قال بصوت أجش رداً على تساؤلها:

- لا تنظري إليّ هكذا.

انتفضت، هل أخطأت؟ لماذا؟

- ليتك تدركين ما تفعلينه بي.

وعاد يشدها إليه.

لم تستطع وهي أسيرة ذراعيه إلا تحريك رأسها اعتراضاً ومحتجة من جانب إلى آخر.. ولكنه لم يستجب لها بل ظل يضمها بقوة.

لم تدر لماذا خطر على بالها ديرك. نعم ديرك حبيبها الميت. فكرت لماذا لا يكون ديرك هو الآن معها، يعانقها ويحبها. تصورت لوهلة أن من يضمها بهذا الشغف هو ديرك

www.liilas.com

فتلفظت باسمه لا إرادياً: ديرك.. ديرك! شدت أصابعه القوية على ذراعها ثم أرجعها إلى الخلف.

قال بصوت فظ: «هكذا هو الأمر إذن؟ أنت تستخدمينني بديلاً عنه. اللعنة عليك ديلسي.. كان عليّ أن أعرف..»

كان يهمس همساً حتى كادت لا تسمعه ولكنها كانت تشعر بغضبه. فمه ملتو بفعل غضب شديد وعيناه باردتان وفارغتان كغيوم الشتاء.

أحست أنه يستخدم غضبه ليغطي الضربة التي وجهتها إلى كرامته.. لكن، بدل أن يسعدها هذا، شعرت بالفراغ ومزقها ألم رهيب هدد بتقطيع جسدها إرباً فقد واجهتها الحقيقة أخيراً. إنها رغم جميع الحواجز التي وضعتها أمامه ورغم كل ما ادعته لنفسها من كره له وقعت في حبه. نعم وقعت في حبه.

كانت صدمتها شديدة حتى كادت تظن أنها ستفقد وعيها ولكنها قررت في اللحظة نفسها ألا تفسح المجال لبراد ليكتشف هذه الحقيقة.. فمنذ مدة غير بعيدة اعترف بأنه يوشك على الوقوع في حبها ولكنها يا للأسف رفضت ذاك الحب لذا لن تمنحه فرصة أن يرفضها بالطريقة ذاتها.

الواقع أن الأمر سيان سواء أرفضها أم لم يرفضها لأنها اتخذت قراراً منذ وفاة ديرك وهذا القرار يقتضي ألا تسمح لنفسها بالعذاب من جديد.. فقد تخسر حبها الثاني كما فقدت حبها الأول. وها هي تريد الالتزام بقرارها ذاك.

أجل.. من الأفضل أن يعتقد براد أنها تظاهرت بأنه ديرك.

- أي نوع من الرجال كان.. أكان عشيقك؟

صدمت راحة يدها وجهه ولكنهما انتفضا معاً.. أحست

ديلسي بذبذبات الضربة تهز جسمها كله.. فأغمضت عينيها أمام لهيب الغضب في عينيه وصاحت بجنون:

- لا تجرؤ أبداً على قول كلمة ضد ديرك! كان يحبني ويحترمني.. ولم يحدث أن عاشرني يوماً..

إنها تعرف الآن، بعد الشغف الذي تراه من براد أن ديرك كان يعتبرها طفلة لا امرأة ناضجة.. أليس هذا ما حاول ديلون قوله لها بلطف في الأسابيع الماضية؟

تأوهت متألمة ثم تحررت من قبضة براد، ودفنت وجهها في الوسادة ولكنه لم يتركها وعندما تكلم جاء صوته أجش من الغضب:

- آه! لا.. لن تفعلي هذا.. أنا لست عزيزك ديرك. أنا إنسان من لحم ودم ديلسي، إذن كنت تظنين أن ديرك من يعانقك.. أليس كذلك؟ حسناً، سأبذل جهدي الآن لتعرفي بالضبط من يضمك ويعانقك.

ثم عاد يعانقها بشغف وقوة حتى كاد يقطع أنفاسها.

وقال أخيراً بعذوبة:

- الآن.. قولي لي إنك تعرفين من أنا.. الفظي اسمي.

داعبت كلماته الناعمة أذنها كموجة تداعب الشاطىء.. ولكن الموج قد يكون خطيراً وغادراً. شعرت بجسمها يرتجف بارتباك وهي تسجل قوة الإرادة وراء الكلمات المهموسة.. ووجدت نفسها تبتلع ريقها بقوة، ولكن ريقها جف وجف حتى عجزت عن قول شيء.

- قولي.. قولي اسمي!

كان صوته خفيضاً بشكل مخادع.

www.liilas.com

- أنت تريدينني ديلسي. تريدينني!

أرادت الإنكار وأرادت المقاومة بكل ذرة من كيانها.

لكن. لمن هو هذا الصوت المتكسر المفعم بالشوق؟

- أجل.. أجل..

تمتم: «أجل.. من.. ديلسي؟»

إنه يريد أن يوقع بها آخر ذرة من عقاب.. أن يجعلها تدفع ثمن تظاهرها بأنه ديرك.. وكلما أخرت انتصاره كلما دفعها إلى دفع الثمن أكثر فأكثر. فكل ثانية تمر، تزيد الفائدة على الدين. ارتجفت مجدداً. إنما ليس من المشاعر هذه المرة، بل من الخوف.

لو رفضت الاعتراف أنها متأثرة به لاستمر في مغازلتها وتعذيبها حتى تعترف.

إذن.. من الأفضل أن تذعن الآن.. ما دام لديها بقية باقية من السيطرة على النفس. إن امتنعت عن هذا الاعتراف فمن يعلم ما قد تضطر إلى الاعتراف به غير هذا؟

ولكن كان فيها جزء يرغب في العذاب، يريده أن يضمها ويضمها حتى يعجز أي منهما عن مقاومة القوة التي بناها معاً.

حثها التعقل إلى الطريق الأول.. فابتلعت ريقها الجاف، وهمست بصوت أجش.

- أجل.. براد.

تنفست الصعداء عندما ارتفعت يده عنها.. وتحرك مبتعداً.. ولكنها شعرت بفراغ رهيب يجتاح كيانها، فهي لا تريد منه أن يبتعد بل تريد حبه بقوة وشغف.

قال لها: «لقد رميت عزيزك ديرك في وجهي أكثر من مرة

وهذا ما أرفضه فلست بديلاً عنه. عليك من الآن فصاعداً أن تفكري فيَّ أنا، في كائن من لحم ودم لا في كائن ميت. تذكري أنني حي وأن ديرك ميت وعندما تستطيعين التفريق بيني وبينه سيكون لنا شأن آخر وحديث آخر. وقبل ذلك لن أعود أبداً إلى محاولة لمسك أو معانقتك، فهمت؟ أريد أن أبتعد عنك وعن تأثيرك».

كانت تنظر إليه وعلى وجهها ملامح توسل.. ولكنه لم يعبأ بتوسلها بل تركها ورحل تاركاً إياها تتلظى بنيران حبها.

* * *

www.liilas.com

٨ - بعد فوات الأوان

أين هي بحق الله؟ الزاوية التي يتسلل منها الضوء إلى السرير غير مألوفة كذلك حال الوهن الذي يلف جسمها. ثم تذكرت، وتذكرت.. فجلست صارخة..

تذكرت الذل الذي شعرت به عندما تركها براد ورحل، لقد تركها رغم علمه أنها مستعدة للاعتراف له. ويا للمهانة!

براد! أين هو الآن؟

عندما نظرت إلى ساعتها علمت أنها تأخرت في النوم وهذا يعني أن براد في الخارج يعمل، والحمد لله على هذا. على الأقل ستتمكن من مغادرة المنزل دون الاضطرار إلى تحمل إذلال رؤيته مجدداً.. الواقع، أنها لا تريد أن تراه ثانية.. دخلت إلى الحمام الذي أقفلت بابه. كانت أفكارها مضطربة ومشوشة وهي تحاول وضع الخطط.. ستدعي أمام ديلون أنها بحاجة إلى قضاء بعض الوقت في لندن للبحث عن مكان سكن وعمل.. تعرف أنه سيحتج ولكنها ستقنعه خاصة وأن ڤيولا معه لتهتم بكيلي. لن يطول الأمر قبل أن يتزوجا. الزواج.. يجب أن تحضر حفل الزفاف. وسيكون براد هناك.. انتفضت ألماً وهي تضع ثقلها على كاحلها المصاب.. عليها أن تتغلب على هذا

العائق فيما بعد. أما الآن فعليها وضع أكبر مسافة بينها وبين براد.

عندما عادت إلى غرفة النوم، لمحت وجهها المتورد في المرآة، فسارعت إلى إشاحة عينيها.. كانت تبدو مختلفة..

كانت تمد يدها إلى مقبض الباب، عندما استدار بمفرده وانفتح الباب إلى الداخل ليواجهها الرجل الذي أشعرها بالمهانة. أحست باحمرار حار.. وانكمشت وهي تتذكر كيف أجبرها على الاعتراف بأنها تريده ثم تركها.. في وضح النهار، أخذت تتساءل كيف وقعت في حبه رأساً على عقب. شعرت في هذه اللحظة بأنه لو أخذها بين ذراعيه..

لكنه لم يفعل.. بل عقد ذراعيه فوق صدره ووقف بالباب ينظر إليها بجفاء.

سأل: «إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟»

قالت ببرود: «إلى بيتي فديلون يتوقع عودتي».

نظر إلى ساعته: «يتوقع ديلون عودتك بعد الغداء، والساعة الآن الحادية عشرة.. قبل أن تغادري أريد أن أتحدث إليك».

تسلل الخوف إلى داخلها.. هل عرف الحقيقة؟ هل سيواجهها بها؟ وهل سيجبرها على البوح بحبها له؟

- ديلسي!

كان صوته خشناً بالغضب.. وبشيء آخر.. أهو التعاطف؟ نظرت إليه فلاحظت تجهمه.. لا.. لا شك أنها تتوهم أن هناك تعاطفاً.

- بالله عليك، لا تنظري إليّ هكذا! لن أؤذيك. فلم أستخدم القوة يوماً مع امرأة.

www.liilas.com

- لا؟ وماذا عن ليلة أمس؟ لقد أجبرتني على..

- على الاعتراف بأنك تريدينني؟ لا أتكلم عن هذا النوع من القوة.. ديلسي بالله عليك، لماذا تقاومين مشاعرك، تعرفين أنك تريدينني.

كذبت بصوت أجش:

- لا.. لا.. أنا لم أردك.. بل أردت دبرك. لقد تركت نفسي أعتقد أن دبرك يحتضنني بين ذراعيه..

قالت هذا بقوة، محاولة إقناعه، وإقناع نفسها في آن واحد.. لكنها كانت تعرف جيداً أنها غير قادرة على تقبل هذه الكذبة. وكذلك براد.. فقد جف اللون من وجهه وانطبع الذهول على عينيه، وتوتر جسمه حتى أحست برغبة في سحب كلماتها القاسية.. لكن، ما يفيدها هذا؟

قال لها بصراحة مؤكداً لها:

- أنت على حق، ما بيننا مجرد انجذاب جسدي. وهذا ما جئت إلى هنا لأقوله لك.. أدركت ليلة أمس أن لا وجود للمرأة التي ظننت أنها أنت. ولهذا أنا من تراجعت الباوحة في آخر لحظة.

نظرت إليه فوجدته يتخطاها والغضب مسطور في داخله، ورغم برودة صوته وموقفه المتصلب رأت هذا في عينيه.

كانت على حق عندما لم تتركه يعرف حقيقة حبها. هذا ما فكرت فيه وهي تنزل الدرج على قدم واحدة تقريباً. فلو عرف لاستمتع كثيراً بعذابها.

الواقع أن ما من شيء خططت له استطاعت أن تنفذه.. ففي اليوم التالي على عودتها إلى المنزل، أصيبت ڤيولا «بالأنفلونزا»

وهذا ما جعل من المستحيل عليها أن تتولى مسؤولية كيلي فكان أن وجدت ديلسي نفسها تقضي معظم وقتها في منزل براد، ترعى شقيقته وزوجة أخيها المقبلة.

لاحظت أن براد، يبقى بعيداً عن النظر ما دامت هي في منزله، وفي الأسبوع الثالث على مرض ڤيولا، اشتكت من كثرة ما يجهد نفسه بالعمل.

قالت لديلسي بقلق:

- إنه يعمل تقريباً من الفجر حتى الغروب.. وأعرف أن هذا يؤثر فيه لأنه مؤخراً دائم العبوس وهذا غريب لأن ميزة براد المرح وهذا ما لا أراه حالياً.

قالت ديلسي وهي ترغب في الهرب من موضوع خطير:

- يجب أن تقلقي على ديلون الآن لا على أخيك.

- لكنني أتمنى لو يستقر براد ويتزوج. إنه بحاجة إلى زوجة، وسيكون أباً رائعاً، فهو يحب الأولاد. كان يجب أن تريه عندما جلب ديلون كيلي إلى منزلنا، أتعلمين؟ كانت المرة الأولى التي أراه يستريح قليلاً منذ مرضي، وكان ذلك، قبل مجيئك بيوم.. لقد أملت في مرحلة ما أن تصبحا.. ماذا حصل بحق الله؟

جاء سؤال ڤيولا الأخير عندما طالعها شحوب وجه ديلسي التي تمسكت بالكرسي غير قادرة على تحمل الإصغاء إلى ڤيولا وهي تتحدث عن براد.

قالت: «لا شيء.. أنا بخير الآن».

ثم عادت إلى الجلوس.. فقالت ڤيولا:

- آه. أرجو ألا تكون العدوى قد انتقلت مني إليك.. ليس

www.liilas.com

والزفاف بعد شهر.

ابتسمت ديلسي، تؤكد لها أن مخاوفها في غير محلها.

في صباح اليوم التالي قادت سيارتها إلى دورتشستر وفي حقيبتها قصاصة ورق تحمل عنوان مؤسسة تطلب موظفات.

تقلصت معدتها وهي تحاول كبح أفكارها.. لقد أمضت ليلة أمس، والليالي السابقة في إقناع نفسها بأن تكون منطقية، لا عاطفية.. ويجب أن تضع نصب عينها أن قرارها لن يؤثر فقط فيها.. إذ يجب أن يعرف بالأمر ديلون الذي سيتساءل عن سبب رغبتها في الاعتزال بعيداً..

عندما أوقفت السيارة وجدت أنها تجر قدميها جراً.

قدمت لها السكرتيرة طلباً عبأته بالمعلومات اللازمة، عندما انتهت أعادت الطلب إلى السكرتيرة التي وعدت بالاتصال بها، بعد أن يدرس المعنيون بالأمر طلبها.

كان الشارع الذي تقع فيه المؤسسة طويلاً ومزدحماً بالمتسوقين، ولكن ديلسي بلغت آخره وهي لا تعرف كيف وصلت.. عادت أدراجها حتى وصلت إلى السيارة ثم توجهت نحو المنزل الذي كان من حسن حظها فارغاً. فيما بعد علمت أن ڤيولا اصطحبت ديلون وكيلي إلى «إيسكس» لتعرفهما إلى أمها ووالد براد. عادا في وقت متأخر فرحين. كانا يتحدثان دون توقف فلم يلاحظا مدى انقباضها.

كانت قد أخبرت ديلون أنها ذاهبة إلى دورشستر لبعض التسوق.. ولكن عندما قالت له ذلك الصباح إنها في وقت قريب سترحل عبس. وأمسك بمعصمها بشدة نحوه. ثم سأل بلطف:

- لا تبدين على ما يرام ديلسي.. ما الخطب؟ أتشعرين بالانقباض لأنني سأتزوج؟ أتظنين أنني أخون ذكرى هيلين؟

رأى الرد في عينيها قبل أن تهز رأسها لتفكر.. أجبرها الاعتراف بحبها لبراد على الاعتراف بأشياء كانت مترددة في الاعتراف بها.

ديلون على حق عندما قال إن هيلين لن ترضى أن يحزن هو وكيلي عليها إلى الأبد.

سألها بلطف: «إنه براد.. أليس كذلك؟ لا.. لا تنكري هذا ديلسي!»

- وهل قلت..

- لا.. لم أقل كلمة لأحد.. ولن أقول.. أبسببه تريدين السفر إلى لندن؟ لماذا؟ يبدو منجذباً إليك!

قاطعته بسرعة: «الانجذاب لا يعني الحب».

- غريب كيف تتطور الأمور.. جئت إلى هنا وأنت عازمة على الاعتقاد بأن براد هو شخص نذل ظالم أراد الاستيلاء على أرض الآنسة داغ. وكنت مقتنعة أنك لن تحبي أحداً بعد ديرك.. و..

- ولكن ثبت أنني مخطئة في كلا الأمرين.. فبراد شخص عامل الآنسة داغ بغاية اللطف. وأعرف كذلك أنني كنت مخطئة بشأن ديرك.. فحبي له حب فتاة مراهقة.. أما حبي لبراد فحب ناضج.. لا أستطيع التحدث بهذا.. يجب أن أخرج الآن.. أنا..

- لا تهربي من عاطفتك ديلسي.. قد تكونين على خطأ فربما..

www.liilas.com

قاطعته، محاولة إيقاف ارتعاشة ثغرها:

- براد لا يحبني. وربما يرغب فيّ.. إنما هذا كل شيء.. أعرف هذا لأنه اعترف به أمامي.

لم تستطع تحمل رؤية الشفقة في عيني أخيها، شدت معصمها منه وهرعت إلى السيارة.

لم تكن في حالة تسمح لها بقيادة السيارة.. ولكن من حسن حظها أن الطريق الريفي فارغ تقريباً. عندما اقتربت من «دورشستر» مرة أخرى خارج مكتب المؤسسة ترددت.. لقد اتصلوا بها البارحة ولكنها لا تدري لماذا ترفض العمل عندهم، لا بل هي تعرف تماماً السبب، فابتعادها عن ديلون يعني الابتعاد عن براد وهذا آخر ما يريده قلبها.. بلل العرق جسمها وأبت قدماها الصعود. ثم نظرت بحدة إلى الباب الموصد وعرفت أنها لن تستطيع التعاقد مع المؤسسة.

جعلتها الراحة التي شعرت بها تحس بالخفة وكأنها تخلصت من عبء ثقيل.. أرادت أن تضحك وأن تبكي في الوقت نفسه. مضت عدة لحظات قبل أن تعود أدراجها من حيث أتت. ولم تكن تعي أنها تبكي حتى أصبح ما يحيط بها مغشياً بالدموع. رفعت يدها إلى وجهها فاصطدمت بسرعة بعمود كهربائي.

- ديلسي!

صدمها سماع اسمها من فم آخر من ترغب في رؤيته.

دار العالم حولها ولكنها رأته يقترب منها ليخفيها عن العيون الفضولية.. ثم شعرت بأنه يقتادها إلى سيارته المنتظرة، أما هي فكانت ذاهلة عما يحيط بها.

جلست في سيارته ضائعة ثم بعد قليل رأته يراقبها، متجهماً وفي يده قصاصة الورق التي تحمل عنوان المؤسسة.

- أتريدين العمل في هذه المؤسسة؟

تصلب وجهه فجأة ثم سحب نفساً عميقاً جعل قميصه يكاد يتمزق فوق صدره.. مد يده إلى كتفها يسأل:

- لم تتعاقدي مع المؤسسة، أليس كذلك؟

هزت رأسها، والدموع تخنق حلقها:

- لم أستطع.. كنت أنوي التعاقد معهم، لكنني لم أستطع.

ثم أجهشت بالبكاء، بدا أن شيئاً ما في وجهه استراح قليلاً.. مع أن صوته كان أجش وهو يقول:

- لا.. لن تفعلي.. سأتأكد من هذا بنفسي.

- لكنني لا أستطيع البقاء مع ديلون وهو يوشك على الزواج. أرفض أن أكون عالة عليه. لقد تخاذلت اليوم ولكنني غداً لن أتخاذل سأقبل بأي عمل يؤمن لي رزقي.

قاطعها بحزم: «لدي حل بسيط، تتزوج».

قطع هذا دموعها.

- لكننا لا نستطيع!

- لماذا؟ ألأنك لا زلت على حب ديرك العزيز باقية؟

عضت على شفتها حتى الألم.. وقالت أخيراً:

- ولكن لماذا تريد الزواج بي؟

هز كتفيه: «الواقع أنني أريد من تحلّ محل ڤيولا في المنزل وبما أنك بحاجة إلى مسكن وعمل فلماذا لا تقبلين الزواج بي؟»

احتجت بضعف: «لا يمكننا الزواج على هذا الأساس الهش».

www.liilas.com

- من قال إنه هش. أنا أراه أساساً متيناً ففي بعض الأحيان يتم الزواج لأسباب أقل أهمية من هذا السبب.

شعرت بأنه يسلبها القدرة على النطق بمنطقه وبأنه يتخذ عنها قراراتها ببساطة. ولكن كيف ذلك؟ كيف لمن تفاخرت باستقلاليتها أن تترك له المجال ليملي عليها ما يشاء؟

نظرت إلى وجهه الحبيب العابس فشعرت بأنها سعيدة سعادة لا تذكر أنها شعرت بمثلها في حياتها كلها. نعم، هي تريد الزواج به. أليس هو حبيبها؟ ولكنها تعرف أنها قد تندم في وقت لاحق لأنها استسلمت لإرادته. كان هناك حتى الآن خيوط من المنطق والتفكير السليم تحذرها بأنها لن تجني من الزواج الذي يفكر فيه براد إلا تحطيم القلب.. فزواج المرأة برجل تحبه ولا يحبها أكبر حماقة، ولكن كثيرات سلكن هذا الدرب.

- توقفي عن التفكير ديلسي.. لا خيار آخر أمامك.

قاطعته باحتجاج: «لا يمكننا الزواج هكذا؟ ماذا سيقول ديلون وڤيولا؟»

- ماذا قد يقولان؟ قد تصيبهما الدهشة ولكنهما لن يصابا بصدمة.

- ليس الأمر هكذا.. ولكن ديلون سيتساءل عن سبب انقلابي المفاجىء و..

لم تكن مهيأة لنظرة الغضب التي بدت على وجهه:

- لن يعرف السبب، بل سنوهمهما بأننا متحابان حباً عاصفاً. سأوهمهما بأنني خائف من خسارتك، لذا أريد الزواج بك في أسرع وقت ممكن.

أمامها مئة حجة تقدمها.. ولكنها ظلت صامتة خاصة وهي

ترى كم تغيرت وكم أصبحت تتوق إلى الأمان والحماية اللتين يوفرهما براد لها.. أحست أن من السهل عليها أن تسمح له بتولي زمام الأمور نيابة عنها.

قال لها، بعد زيارة مسجل عقود الزواج:

- أريد أن أقيدك إلى جانبي من الآن فصاعداً. والآن أطالبك بوعد..

أضافت عنه بصوت مرتعش:

- ألا أحاول الهرب؟

قرر أن يقلّها بنفسه، أما سيارتها فوعد بأن يتصل بكاراج ليوصلوها إلى منزلها في وقت لاحق.

عندما أصبحا خارج المنزل قال محذراً وهي تفتح باب السيارة:

- تذكري.. في نهاية الأسبوع ستتزوج.. وإن كنت تريدين إقناع ديلون وڤيولا بأنه زواج حب، فعليك القيام بدورك. سأرافقك.

- إنما، ماذا عن سيارتي.. ديلون..

- سنقول له إن فيها عطلاً، وإنني التقيتك وعرضت أن أقلك. وأظن أن علينا أن نتناول العشاء معاً هذه الليلة.. آه! لا بأس عليك.. لن أفرض وجودي عليك.. يمكننا العشاء في منزلي.. فلدي بعض الأعمال المكتبية، لذا أقترح أن تجلبي معك كتاباً أو أي شيء قد يشغل وقتك. إن كنت تريدين أن تكوني مقنعة بالنسبة لهذا الزواج فعلينا أن نوهمهما بصدق حبنا.

عرفت أنه على حق.. لكن هذا لم يسهل عليها تحمل الإحساس بأصابعه على بشرتها، وهما يسيران إلى المنزل،

www.liilas.com

وذراعه على كتفيها.

حالما دخلا لاحظت الدهشة والتساؤل في عيني ديلون. تذكرت حديثهما في وقت سابق من ذلك اليوم.. ولكن ديلون تمكن من إخفاء دهشته وهو يتحدث بسهولة مع براد، مع أنه كان ينظر باستغراب نحو ديلسي التي أشاحت بوجهها عندما أعلن براد عزمهما على تناول العشاء معاً تلك الليلة.

لم تتح فرصة أمام ديلون لسألها.. وكأن براد لا ينوي حقاً تركها تغيب عن ناظريه لحظة فقد أصرّ على اصطحابها معه إلى منزله، مدعياً أنه بحاجة لمن يساعده في ري النباتات في المستنبت.. ولم تجد ديلسي مجالاً للاحتجاج.. فلا عذر لديها للاعتراض على الذهاب معه.

تزوجا بعد أقل من أسبوع. والواقع أن عدم إبداء ديلون أو ڤيولا أي استغراب، أثار أعصابها وكانت شاكرة لأن براد لم يدرك المغزى من وراء ابتسامة ديلون المتفهمة التي استقبل بها إعلانهما.

كانا قد عادا مباشرة من مكتب تسجيل عقود الزواج إلى المنزل حيث جلست ديلسي بصمت تصغي إلى براد وهو يشرح أنه بسبب ضغط انشغاله لن يتمكنا من الذهاب في شهر عسل.

احتجت ڤيولا، وعبست قليلاً في وجه أخيها:

- إذن، لِمَ العجلة؟ مسكينة ديلسي.. لم تتح لها فرصة التحضير، هذا عدا ما سيقوله الوالدان.

رد براد: «إنهما يعرفان.. لقد اتصلت بهما في اليوم الذي قبلت فيه ديلسي طلبي، وقلت لهما. أما بالنسبة للسرعة فكما يقال «خير البر عاجله» وهناك سبب آخر أظنه واضحاً جداً

لديك..»

حدج ديلسي بنظرة طويلة جعلت بشرتها تتورد. وصاحت ڤيولا:

- بالله عليك براد.. أنت تحرجها حتى العظم..

- هذا دون ذكر ما تفعله بي!

قاطعها ديلون ضاحكاً:

- وبي كذلك، فجأة تبدو لي فترة الأسبوعين مدة طويلة للحصول عليك ڤيولا.

قال براد بصوت جاد أجفل ديلسي:

- أردنا تأجيل زواجنا إلى ما بعد زواجكما.. لكن..

ترك صوته يتلاشى، والتفت إلى ديلسي يرفع أنامها إلى فمه ليلثم كل أنملة برقة.. كان تجاوبها غير متناسب مع قصر مدة مداعبته..

أضاف: «قررنا أن من الأفضل أن نكون متفتحين أمام حبنا.. ويجب أن أعترف، أنني لا أستطيع الادعاء بأنني غير سعيد بهذه السرعة».

مضى بعض الوقت قبل أن يعلن براد عن رغبتهما في العودة إلى منزلهما.. وكانت ديلسي قد وضبت حقيبة صغيرة لها استعداداً وعندما عادت من غرفتها تحملها وجدت براد بانتظارها.

تلاشت راحة ديلسي الأولية بأنها لن تكون مضطرة لتحمل عذاب شهر العسل بمفردها مع براد فجأة عندما وصلا إلى المنزل حيث أعلن ببرود أنه سيحمل حقيبتها إلى غرفته..

صحح كلامه: «.. كان عليّ أن أقول غرفتنا».

www.liilas.com

لم تستطع ديلسي الحراك، بل وقفت في أسفل الدرج مصدومة.

- أتعني أننا ستتشارك غرفة نوم واحدة؟

ارتفع حاجباه بسخرية: «إنها العادة، أليس من المفروض بنا أن نكون عاشقين ولهين؟ لو غيرنا هذه العادة لاستغربت ڤيولا.. يمكننا بالتأكيد الادعاء بأننا نستمتع بحماقات رومانسية في التسلل من غرفة إلى أخرى سراً، في ساعات الفجر الأولى».

- حسناً.. لقد أوضحت فكرتك.. لكنني أرفض أن أشاركك غرفتك.

رد ساخراً: «ترفضين؟ أرى هذا. وعلى ما أذكر أنك قلت مرة إنك لا ترغبين في أن أغازلك كذلك»..

اجتاحها الخوف خشية أن يدرك حقيقة مشاعرها تجاهه، فقالت بحدة:

- ولكنني قلت لك وقتذاك إنني كنت أتظاهر بأنك ديرك!

- بالله أتتشاجران؟

لم يشعرا بدخول ڤيولا التي ضحكت عندما أجفلا:

- لا بأس عليكما.. لن أبقى.. اقترح عليّ ديلون أن أستخدم غرفة نومك الليلة، لتتمكنا من الحصول على ما يشبه شهر عسل. جئت فقط لآخذ بضع أشياء.. هل ستصحبها إلى مكان مميز الليلة براد؟

استعاد وعيه أسرع منها، فابتسم لأخته ابتسامة كسول، جعلت قشعريرة سعادة غير مطلوبة تسري في ظهر ديلسي.

- أجل.. في الواقع أنني كنت أوشك على اصطحابها إلى هناك في اللحظة التي قاطعتنا فيها.

اتسعت عينا ڤيولا.. ثم ضحكت:

- لا أدري من منا تحاول أن تصدمها، أنا أم ديلسي.. رافقها الآن إلى غرفة الجلوس بدلاً عن ذلك، وقدم لها كوب شاي، أما أنا فلن أمكث هنا أكثر من عشر دقائق.

مضت ربع ساعة قبل أن تسمع ديلسي سيارة ڤيولا تبتعد.. ولكنها كانت في الدقائق الخمس عشرة تجلس بصمت رافضة الشاي الذي قدمه لها براد، وشعرت بأنها تكرهه كرهاً شديداً.

انتظرت حتى ابتعدت السيارة، ثم حاولت أن تتكلم بغضب ومرارة:

- كيف تجرؤ على إذلالي هكذا؟ كيف تذلني أمامها بالإيحاء لها..

- بأنني لا أستطيع الانتظار حتى أحملك إلى فراشي.

كان يراقب وجهها كهر يراقب جحر الفأرة.. أحست بخوف لأن الغرفة شحنت بالغضب ولم تكن هي بمفردها مصدره.

سألها بحدة: «منذ متى كان أمر كهذا مذلاً..؟ تعتبر معظم العرائس هذا أمراً عادياً.. هذا دون القول بأنه يشبع غرورهن، لأن عرسانهن متشوقون لمطارحتهم الغرام.. لكن، بما أننا نتكلم عن الإذلال فأقول إنني لا أجد داعياً للاستمرار بتذكيري بالشبح الذي يطاردك.. لقد أوضحت خير وضوح أنك ترفضين أن تشاركيني فراشي.. ولكن تذكرين أنك في المرة الماضية كدت تستسلمين لي لولا تراجعي في اللحظة الأخيرة.

شحب وجه ديلسي بسبب ما يظنه بها. إنها في نظره ليست أكثر من غشاشة محتالة.. امرأة تدعي حب رجل وتتوق إلى

www.liilas.com

ذراعي رجل آخر.

شعرت فجأة بالتعب والإرهاق بسبب توتر أعصابها.

- أنا متعبة براد.

- تبدين فعلاً متعبة. سأرافقك إلى غرفتك وبعد ذلك سأتركك.. فالمستنبتات بحاجة إلى ريّ.

نظر إليها نظرة ساخرة مدمرة، ثم نظر إلى ساعته وهو يفتح الباب لها لتسبقه.. كانت مجرد حركته العابرة كافية لتدفع نبضات قلبها إلى الزغردة.

كانت غرفة نومه أكبر من تلك التي أمضت فيها ليلة الحادث. وكان ديكورها ينسجم مع فخامة الأثاث. فالألوان مختارة بدقة لتليق بالسجادة على الأرض. والسرير فخم ومرتفع.

كانت الأغطية من الكتان الأبيض المشغول يدوياً.. لامستها ديلسي بتبجيل، فقال لها براد:

- إنها لجدتي الكبرى.. كانت جزءاً من جهاز عرسها. طلبت من السيدة رابون أن تفرشها على السرير هذا الصباح. تبدو لي أجمل من تلك التي تفضلها ڤيولا.

آلمتها كلماته لسبب ما، ربما لأنها تذكرها بكل ما لن تستطيع أن تمتلكه.. ففي لحظة قصيرة رأت أي نوع من الحبيب قد يكون براد لو كان واقعاً في الحب فعلاً. كاد يكون لها في يوم لولا رفضها حبه. لقد دمرت بطيشها تلك المشاعر وتصرفت كأنها طفلة صغيرة تدمر دمية طالما اشتاقت إليها باندفاع متمرد متهور.. وها هو الأوان قد فات.. ارتجفت فعبس براد.

- أتشعرين بالبرد، عودي إلى الأسفل وسأوقد النار في غرفة

الجلوس. قبل أن أخرج.. لقد تركت لنا السيدة رابون ما نأكله..

تركته ديلسي يقودها نحو الدرج مجدداً وكأنها دمية من خشب. لقد قبلت هذا الزواج بملء إرادتها لذا لن تستطيع أن تتذمر لأن براد لا يحبها!

* * *

www.liilas.com

٩ ـ أحرقت مراكبها

بعد الأسبوع الأول على زواجهما، أقنعت ديلسي نفسها أنها مرّت بأسوأ ما قد تمر به وبأنها لن تشعر بأكثر من هذه التعاسة.. تعلمت متألمة ما معنى النوم في فراش واحد مع رجل لا يحس بوجودها، ولا يرغب فيها.. أما هي..

في الليلتين الأوليين عزت أرقها إلى عدم اعتيادها على النوم مع شخص آخر.. ولكن في نهاية الأسبوع أدركت أنها مخطئة.. فما سبب أرقها إلا توقع جزء منها في أن تستيقظ فجأة لتجد نفسها بين ذراعي براد.

أما، لماذا يبقى جزء منها تحت تأثير مثل هذا الوهم، فلا فكرة لديها.. فقد أوضح براد منذ زواجهما بأنه لا يريدها.

الآن بعد مضي أسبوعين حان موعد زفاف ڤيولا وديلون.

سيحضر والد براد، وأم ڤيولا المراسم، ثم سيعود الجميع إلى منزل براد للاحتفاء. لقد أمضت ديلسي الأيام القليلة الماضية في ترتيب الوضع مع السيدة رايون.. أما براد، فكانت لا تراه إلا قليلاً إذ كان يستيقظ باكراً، ويخلد إلى النوم متأخراً، وهذا بعد أن تكون قد غفت.

اشترت ثوباً جديداً للزفاف. بزة من الحرير المشمشي اللون

فوقها سترة واسعة الخصر ذات أرداف واسعة، تنتهي بطرفين ضيقين. والسترة منسدلة من طيات مغروزة بطريقة جذابة غير موصولة أما أسفلها فمستدير قليلاً كطرف قميص رجل.. وجدت لها قبعة بلون مشمشي أغمق لوناً قليلاً، موشاة بأطراف بيضاء، وهذا ما يعني أنها ستستخدم حذاءها الأبيض وحقيبتها البيضاء.

كان الزفاف سيتم في كنيسة محلية صغيرة.. وكان براد سيمثل دور الإشبين لديلون.. أما ڤيولا فقررت أن تكون الصغيرة كيلي وصيفة العروس.

كانت ديلسي تضع اللمسات الأخيرة على مظهرها عندما سمعت سيارة تتوقف في الخارج.. وكان براد قد ذهب إلى منزل ديلون ليقله وليقل كيلي إلى الكنيسة، أما ديلسي فكان عليها أن تقل ڤيولا.. نظرت من النافذة فرأت سيارة غير مألوفة..

همست ڤيولا من ورائها:

ـ الوالدان.. في الوقت المحدد. والسبب أمي، فبيتر عاجز عن المجيء في الوقت المحدد. تعالي من الأفضل أن نستقبلهما.

وضحكت.

كانت ڤيولا هادئة بشكل مذهل بل هي أهدأ حالاً من ديلسي نفسها.. ولكن ڤيولا ستتزوج رجلاً تعرف دون أدنى شك أنه يحبها.. لقد تخوفت من مقابلة والدي براد.. لأنها لا تعرف ما هو رأيهما فيها وبزواجها السريع الصامت.

يشبه بيتر ليندن ابنه بشكل مذهل، فهو نسخة طبق الأصل

www.liilas.com

مع فارق العمر طبعاً. كان في غاية اللطف.. فقد هز رأسه لڤيولا، وصافح ديلسي بحرارة، «وفيما بعد علمت أنه رجل لا يحب المظاهر كثيراً.. ثم بدأ يعلّق على البط الذي شاهده في بركة القرية:

- من غير المعتاد رؤيتها هنا في مثل هذا الوقت من السنة.. يجب أن تكون في «إيسلند» ولكننا عانينا من عواصف ربيعية سيئة، قد تكون السبب في دفعها إلى هنا.

قالت له زوجته بحزم وصبر:

- بيتر، جئنا لنشهد زواج ڤيولا.. لا لنراقب الطيور.

ركز عينيه الزرقاوين وابتسم لديلسي:

- طبعاً.. طبعاً.. سامحيني ديلسي.. أنجرف عادة إلى هوايتي أحياناً.. هذا ما تعرفه ڤيولا.

تأوهت ڤيولا: «نعم صحيح. فبينما كان رفاقي في المدرسة يقضون إجازاتهم في إسبانيا واليونان، كنا نحن نقضيها في مطاردة الطيور أو أنواع النبات، في مكان بارد رطب».

اعترضت أمها: «أنت تبالغين حبيبتي.. فماذا عن الإجازة الرائعة التي أمضيناها في سويسرا؟»

- أتشيرين إلى تلك الإجازة التي علق فيها بيتر في منتصف طريق جبلي وهو يحاول تصوير زهرة نادرة؟

ضحكت الأم، ثم التفتت إلى ديلسي:

- من سوء الخلق أن نغرق في الذكريات هكذا ديلسي. أنا آسفة لأنني لم أستطع حضور زفافك.. كان بيتر يضع اللمسات الأخيرة على آخر كتاب له. وكان الناشر يصرخ مطالباً به.

كانت ڤيولا قد أخبرتها أن والد براد انصرف بعد تقاعده إلى

الكتابة عن هوايته المفضلة وقد ألّف حتى الآن كتابين.

سألت أليزابيت بسرعة: «متى يتوجب علينا الوصول إلى الكنيسة؟»

ردت عليها ڤيولا، فقالت بهدوء:

- عظيم، هذا يعني أن أمامنا متسعاً من الوقت لاحتساء فنجان قهوة. لا.. بيتر، لن تخرج فتضيع في الحديقة. ڤيولا.. أعدي لنا القهوة فيما أتعرف إلى «كتني» الجديدة.

قالت لديلسي: لم نفاجأ بخبر زواج براد.. فقد أخبرتنا ڤيولا عنك.. وألمحت إلى أن براد يظهر نحوك اهتماماً يتجاوز اهتمام الجار بالجار. يجب أن أعترف أنني مسرورة لأنه وقع أخيراً في الحب وتزوج.. كنتُ وزوجي قلقين عليه.

نظرت بمحبة إلى زوجها الذي ما يزال ينظر بأسى إلى الحديقة.

- بيتر غير جيد على صعيد العلاقات الشخصية. لقد رباه عمه الأعزب، وتعلم في المدارس العامة. لذا عندما ماتت أم براد.. لم يكن لدى بيتر المسكين فكرة عن كيفية مواساة أو تربية ابنه.. وكان براد في عمر خطر.. ومن الطبيعي أنه لم يتمكن من اللجوء إليّ لأنني كنت الدخيلة التي حلت مكان أمه.. تكلمنا عن هذا كثيراً، لقد اعترف لي أنه لم يتقبل فكرة أن يجد والده زوجة ثانية ويحبها.. قال إن ذلك يشعره بذنب مضاعف، وكأنه بحبه لي، يخون ذكرى أمه.. وهذه كلها مشاعر أقوى من أن يحاول صبي في الرابعة عشرة أن يتعامل معها. لقد حل الوقت تلك المشكلة إنما ذلك لا يعني أنها لم تترك ندوباً في أعماقه.. لاحظت كيف كان دائماً شديد التحفظ

www.liilas.com

مع صديقاته من الفتيات.. وما أكثرهن! إنه رجل في غاية الجاذبية ولكنه كان يكبح شيئاً ما في نفسه، ويجب أن أعترف أنني بدأت أظن أنه لن يسمح لنفسه بالوقوع في الحب أبداً.

ما إن دخلت ڤيولا حاملة القهوة حتى غيرت ليز الموضوع، لتسأل ابنتها عن ثوب الزفاف.. فاقترحت ديلسي بلباقة أن تبقى لتسلي حماها فيما تصعد ليز لتساعد ڤيولا بارتداء الثوب.

لم يكن الصمت الذي ران بعد ذهابهما مزعجاً بل الواقع أن بيتر ليندن من أكثر الناس استرخاء وهدوءاً. فيه ميزة البساطة التي لم تستطع إلا مقارنتها بقسوة براد.

لكن براد عرف الألم والخسارة قبلها تماماً. ولو صدقت في ما قالته أليزابيت، لعنى ذلك أنه اختبر في علاقته مع زوجة أبيه، مشاعر قريبة جداً من العذاب الذي خبرته يوم التقت به.

إذن سيفهم يوماً سبب تعلقها بذكرى ديرك!

إنما هل لديها الشجاعة لتفعل هذا؟ هل ستجد الكلمات لتعترف له بأنها تعلقت بيأس بديرك لأنها كانت تخاف من تجاوبها معه؟ وأنها كرهته ورفضته، لأنها عرفت بشكل ينافي المنطق أنها قد تقع في حبه بجنون؟

قررت ديلسي بعد ساعة أن تعترف له بذلك ولكن عليها الانتظار إلى ما بعد مراسم الزفاف، وما إن تنتهي، ويصبحا بمفردهما حتى... شعرت الآن بعد اتخاذها هذا القرار بأنها أفضل حالاً.. وكأن حملاً رهيباً نزل عن كاهلها.

كانت ڤيولا قد اختارت ثوب زفاف بسيط لكنه يليق بجسمها النحيل.. جعلت الطريقة التي نظر فيها دبلون إلى عروسه وهما يتركان الكنيسة حنجرة ديلسي تنقبض شوقاً إلى

نظرة كهذه من براد. ولكن، يا له من حلم سخيف أحمق مستحيل.. التفتت تدرس قسمات وجهه الباردة المخيفة، اليوم كان يبدو أكثر انطواء وانزواء من قبل.

كانت وجبة الطعام بعد الزفاف رائعة.. وراقبت ديلسي براد وأباه يتحدثان فشعرت بألم طفيف في قلبها.. ترى هل ندم براد على زواجه بها؟

ـ هل أنت على ما يرام؟

كانت غارقة في أفكارها التعسة لذا لم تره يتقدم نحوها. امتزج ضغط يده الخفيف على كتفها، والقلق في صوته ليدفعاها إلى ما يقرب من البكاء..

قالت: «متعبة قليلاً..»

ـ لماذا لا تصعدين إلى الغرفة وتستريحين قليلاً.. سيغادر الجميع قريباً.

هزت رأسها، واعتذرت من الجميع، ثم صعدت إلى غرفتها وهناك خلعت البذلة واستلقت على الفراش وراحت تغط في نوم متقطع مضطرب. أخيراً استيقظت تماماً عندما سمعت كلمات الوداع وصرير أبواب السيارات المقفلة.

بعد عدة دقائق سمعت براد يرتقي الدرج.

ـ يجب أن أذهب لأعاين المستنبتات بعد وقت قصير ولكنني رغبت في الاطمئنان عليك. فهل تريدين كوب قهوة أو شاي، أو أي شيء آخر؟

هزت رأسها نفياً.. وأحست بجفاف حلقها، وبتوتر. إنما قد لا تجد فرصة مماثلة مرة أخرى.

قالت بصوت أجش:

www.liilas.com

ـ لا أريد شيئاً براد.. ولكن أريد محادثتك.

تقدم إلى الفراش، وجلس على حافته.. بعيداً عنها قدر ما يمكن، بدأت تشرح له متلعثمة عذاب معركتها ضد نفسها منذ لقائهما الأول.

أصغى إليها بصمت، متجهم الوجه ثم قال بصوت خال من العاطفة.

ـ أفهم ما تقولين ديلسي.. عانيت المعاناة نفسها عندما تزوج أبي مرة أخرى.. إنما ما لا أفهمه هو علاقة ما تقولينه بي أنا. أعرف ما تشعرين به نحو ديرك.. وأعرف أنك لم تستطيعي التفكير في حلول شخص آخر مكانه..

ألم يفهم قصدها أم لم توضح هي مقصدها؟ جعلتها اللهفة تتلعثم وازداد ضيق حنجرتها وهي تهز رأسها بشدة:

ـ لا.. لا.. أنت لم تفهم.. ما أحاول قوله لك براد، أنني أحبك أنت.

سرعان ما ارتدى وجهه قناع الرفض. نهض ثم توجه إلى النافذة، حيث وقف معطياً إياها ظهره. نظرت إلى ظهره المتشنج فغمرتها موجة باردة اجتاحت كيانها.

أخيراً التفت يواجهها:

ـ ماذا تأملين تحقيقه من وراء قولك هذا ديلسي؟ آه! ربما عرفت إنه الإحباط الجسدي الذي يتلاعب كالشيطان بمبادىء الإنسان، أليس كذلك؟

كان ينظر إليها ويداه في جيبيه..

أضاف ساخراً: «لا حاجة بك إلى الذهاب بعيداً أطلبي مني ما تريدين بشكل بسيط مباشر ولك أن أرضيك جسدياً أما ما

تقولينه الآن فغير مجد. الواقع أنني ظننت أننا متفقان على أن هذا هو كل ما بيننا».

جاءت كلماته كالصفعات على وجهها.. تضربها لتخرّ على الأرض وتسبب لها ألماً لا يمكن تصوره أو احتماله. أرادت في هذه اللحظة الهرب. نعم الهرب.

نهضت عن السرير وهرعت إلى الباب.. لكن قبل أن تبلغه تعثرت قدماها بالسجادة «الأوبيسون» ففقدت توازنها، تحرك براد ولكن متأخراً إذ سمعت نفسها تصرخ بسبب اصطدام رأسها بطرف الباب.

* * *

صدمتها الرائحة المألوفة بغموض، ثم خافت منها. للرائحة علاقة بما أرادت أن تهرب منه.. حاولت التحرك ولكنها وجدت حركتها مقيدة. هناك من يثبتها أو هذا ما بدا لها. تصاعد الذعر إلى نفسها وعرفت ما الذي تخشاه. كانت الرائحة التي تشمها رائحة الأدوية والنظافة.. قاومت لتفتح عينيها، ثم أغمضتهما مرة أخرى.

مالت إليها ممرضة تبتسم بحرارة:

ـ لا بأس عليك سيدة ليندن.. لقد تأذيت بهذه السقطة ولكنك الآن على ما يرام.

ـ سقطة.

أقالت الممرضة «سقطة»؟

فجأة تذكرت.. رفعت رأسها المتألم عن الوسادة لتنادي الممرضة، لكنها كانت قد رحلت.

كانت في غرفة خاصة فيها سلال زهور كثيرة وجهاز

www.liilas.com

تلفزيون.

انفتح الباب، فرفعت رأسها بلهفة، متوقعة عودة الممرضة.. ولكنها لم تكن الواقفة بالباب.. بل براد.

بدا مريضاً شاحباً.. بل بدا رجلاً مختلفاً. حاولت الجلوس، لكن الجهد كان كثيراً عليها.

- ماذا أصابني؟

ما أشد ما كان صوتها ضعيفاً ومتقطعاً.

رأت ملامحه تشرق ثم سمعته يجيب:

- أصيب رأسك بصدمة عنيفة ولكن الطبيب يقول إنك الآن على ما يرام.

قالت ببطء: «عندما استيقظت شعرت بالخوف».

دنا من سريرها يجلس على حافته ليأخذها بين ذراعيه.

كان يرتدي أحد قمصانه الصوفية المخططة، وأحست بالقماش رائعاً على وجهها.. تنشقت عبيره وأرادت أن تدفن رأسها في صدره، لتستمر في استنشاق رائحته إلى آخر العمر.. شعرت بخفقات قلبه التي كانت أسرع بكثير من الحد الطبيعي، وراحت إحدى يديه تملس شعرها.. لا بدّ أن هذا حلم.. ولم تدرك أنها تلفظت بالكلمات حتى أبعدها عنه فجأة، وقال:

- يقول الطبيب ماسترز إنك بخير وإنك قادرة على العودة إلى المنزل.. لكن إن فضلت البقاء هنا مدة يوم أو يومين للنقاهة فلا بأس.

- يوم؟ منذ متى وأنا هنا؟

- منذ يومين.

أدار ظهره لها، ثم خرجت الكلمات مخنوقة ملؤها العذاب.

قال: ما كان عليّ أن أكلمك بتلك الطريقة.

التفت إليها مجدداً.. وعلى وجهه ملامح العذاب فصدمها ما تراه.. طاف بها الأمل الذهبي الواعد لبرهة، ثم تراجع إلى الواقع عندما أضاف:

- كدت تتأذين بسببي.. و..

قالت بمرارة: «أنا السبب، فقد هرعت كالمجنونة، لا ألوي على شيء».

راقبته يعبس ثم سمعته يسأل ببطء:

- لماذا قلت لي إنك تحبينني؟

لماذا؟ لماذا قالت له هذا؟

- أعتقدت أن اعترافي ذلك سيساعد على وضع زواجنا في مساره الصحيح.

- بكلمات أخرى.. كذبة للمؤاساة.

كذبة؟

شعرت بقلبها يثب بين ضلوعها، وعادت الغصة إلى حلقها، كان دون أن يدري يمهلها فرصة للتراجع، وللادعاء بأنها لم تعن ما قالته حقاً.. أهو بذلك يعرض عليها طريقاً للخروج دون إحراج لأي منهما؟ أهذه طريقته في أن يقول لها إنه لا يريد حبها لا الآن ولا في المستقبل؟ فكرت في أن تقول له بأنها لم تكن تكذب. ولكن ما الفائدة؟ عندما صفت أفكارها قليلاً استطاعت أن تتذكر الغضب الذي واجه فيه إعلان حبها له.

ولكنها رغم ذلك لم تستطع إجبار نفسها على القول إنها كانت تكذب. وهزت كتفيها، وتجنبت عينيه قائلة بفتور: «إن شئت قول هذا».

www.liilas.com

ران صمت طويل اضطرت معه إلى النظر إليه. كان عابساً، على وجهه أخاديد ألم حاد.. أرادت أن تمد يديها إليه لتحتضنه ولتخبره بمدى حبها له.

انفتح الباب ودخلت الممرضة التي بدأت بإخراج براد إلى الخارج:

- هل أنت على استعداد لارتداء ملابسك؟ سيأتي الطبيب ليتحدث إليك قبل رحيلك.

اصطحبت براد معها وتركت ديلسي لترتدي ثيابها.

بدا براد مشغول الفكر في أثناء رحلة العودة. ورغم احتجاجها أصر أن يحملها إلى داخل المنزل حيث وضعها بحذر على الأريكة في غرفة الجلوس، قائلاً إن السيدة رايون، تركت لهما ما يأكلانه.

- وصلت بطاقة من ثيولا وديلون هذا الصباح.

كان العروسان مع كيلي في شهر العسل. حاولت ديلسي دفع عضلاتها المتوترة للاسترخاء. أما براد فاختفى في المطبخ.. بدا لها مختلفاً بشكل لم تستطع فهمه. إنه ألطف بكثير.

لم تطل غيبته إذ عاد حاملاً صينية غنية بالمآكل. قال لها ضاحكاً:

- تقول السيدة رايون إن عليك أن تأكلي جيداً لتشفي بسرعة.

صاحت: «ولكنها كمية كبيرة، تكفي لإطعام مئتي شخص».

كانت جالسة تصغي إلى كلامه الذي يوحي إلى العلاقة التي كان من الممكن أن تكون لو كانت الأمور مختلفة.. أحست

فجأة بمزيد من الألم وشعرت بأنها توشك أن تجهش بالبكاء، فقلبها يتفطر ألماً. عندما وضعت من يدها السندويش دون أن تمسه رأت براد يعبس:

- هل أنت بخير؟

سرعان ما أصبح قربها، ينظر إليها، يرفع أصابعه إلى وجهها، يتلمس صدغها الطري ويدفع شعرها إلى الوراء، أما أطراف أصابعه فراحت تداعب بشرتها بطريقة ليست سوى ردة فعل من قبله ولكن مهما كان سبب المداعبة، فقد تلاعبت بسيطرتها على نفسها..

أرادت أن يستمر وأرادت أن يتوقف، أطلقت حنجرتها آهة احتجاج ثم التقت عيناها عينيه للحظة فذهلت لأنها رأته مبتسماً ابتسامة دافئة مداعبة أطلقت وعوداً كثيرة كاد معها قلبها يتوقف عن الخفقان.

جلس قربها حتى أصبح رأسيهما على مستوى واحد. أمسك معصمها، وقال بصوت أجش:

- ديلسي.. أأنت واثقة أنك كنت تكذبين عندما قلت إنك تحبينني؟

لم تكن تتوقع سؤاله لذا حدقت إليه وموجات من اللون الفاضح يتسلل إلى بشرتها. اشتدت قبضته على معصمها، وتقدم وجهه لتداعب أنفاسه وجهها، وقال كأنما لنفسه:

- سؤال سخيف.

لامست شفتاه بشرتها، تتحركان بكسل متعمد مثير، تتحولان من التملك إلى الشغف، حتى عجزت ديلسي عن فهم كيف تم التحول.

www.liilas.com

شعرت في هذه المرة بأنها أحرقت جميع مراكبها وخلّفتها وراءها. لا مجال أبداً بعد الآن للشك في حبها لبراد.

شعرت بأصابعه تتسلل إلى شعرها، تمسك برأسها بحيث لم تستطع تجنب عناقه المنتقم، تعلقت به بخجل.. لكنه أبعدها عنه بحزم وردها إلى حيث كانت جالسة.

وقف، ينظر إليها. فلعنت التورد الغادر الذي علا وجنتيها وتخوفت مما يوشك أن يقوله.

وكان ما قاله بالسوء الذي توقعته..

- أنت تحبينني فعلاً؟

ما الفائدة من النكران؟

- أجل.. ربما أحببتك منذ البداية.. ولكنني لم أرغب في الاعتراف.. كنت خائفة.. أترى.. خشيت أن أحب مرة أخرى فأفقدك كما فقدت ديرك.

- أجل.. أعرف هذا.

- لا شك أنك تجد هذا كله مسلياً.

يا الله! كيف ستقوى صبراً؟

- وهل أبدو كمن يتسلى؟

أمسك وجهها يرفعه فاضطرت إلى النظر إليه ولكن ما رأته في عينيه جعلها غير قادرة على تصديق اللهفة والشوق البارزين على وجهه.

تأوه، ولفظ اسمها نصف ضاحك.

- يا الله ديلسي.. أنت لا تعلمين ما جعلتني أمرّ به!

احتواها بين ذراعيه يعانقها بكل الشوق والحاجة اللتين حلمت بهما.. فشهقت ابتهاجاً..

سألها: «هل أبدو كمن يتسلى؟ أنا أحبك أيتها البلهاء العمياء المجنونة.. وأظنني وقعت في حبك منذ وقع بصري عليك ولكن كان كل ما فعلته هو الحديث عن ديرك».

عانقها ثانية، فتحركت نحوه، تستمتع بأنفاسه الحارة..

قال لها بصوت أجش: «كفى».

تركها وأبعدها عنه بلطف:

- الشرح أولاً والحب ثانياً.

تمتمت بسعادة:

- أفضل الحب أولاً.

تركته يستقر على الأريكة قربها، ووضعت رأسها على كتفه راضية.

- لا أستطيع أن أصف لك ما شعرت به عندما هرعت من غرفة النوم كالمجنونة. حاولت تحذيرك من السجادة.. ولكنني تأخرت في ذلك.. ما كان يجب أن أقول لك ما قلته ولكن الغضب والغيرة أفقداني صوابي.. أولاً تقولين إنك لا تحبينني، وإنك لن تحبينني أبداً.. ثم عندما أضمك وأغازلك تستجيبين لي بقوة. ولكنك ادعيت أنك عندما تكونين بين ذراعي تتصورين أنني ديرك. آه! ليتك تعرفين كم آلمني قولك ذاك! عندما كنت أراك تتجاوبين معي بذاك الشغف كنت أعلل النفس بأنك تكنين لي شيئاً ولكنك كنت في كل مرة تنسفين أحلامي فأعود فأظنك تريدينني بديلاً عنه. لذلك أحسست بالصدمة عندما قلت لي بهدوء إنك تحبينني.. ففي تلك اللحظة فكرت في أنك قررت متابعة لعبتك بالتظاهر أنني ديرك.. فبعدما يئست من عودته ظننتك وجدتني البديل عنه.

www.liilas.com

- لم يكن الأمر كما تقول.. مع أنني أفهم ما تريد قوله.

- لقد انقلبت رأساً على عقب، وكنت حتى يوم زواجنا مصرة على أنك تحبين ديرك.. ثم فجأة..

- ليس فجأة تماماً.. فقد عرفت أنني أحبك، عندما أمضيت ليلتي في بيتك بل قبل هذا في الواقع.. ولكنني كنت مصدومة وخائفة أن تكتشف مشاعري نحوك.. كان خوفي من الحب يسيطر علي، فكذبت، وقلت لك إنني ادعيت أنك ديرك.. أترى على الرغم من اعترافك بأنك بدأت تقع في حبي بقيت أخشى أن أُحِبَّ أو أُحَبَّ، لأنني ظننت أن هذا الشعور سيقودني إلى الألم.

نظر إليها بحزن:

- ارتكب كلانا الأخطاء.. أنا حاولت دفعك إلى حبي قبل أن تكوني مستعدة.. خفت أن أخسرك وكان خوفي عظيماً.

قالت: «عرفت أنك تثير مشاعري أكثر مما كان ديرك يثيرها وهذا ما زاد خوفي. لم أكن أريد أن أشعر بشيء نحوك.. لأنني..»

أتمّ الجملة نيابة عنها:

- لأنك خفت أن تفقديني كما فقدت ديرك. الحياة لا تعطي ضمانات ديلسي.. لكن مهما خبأ المستقبل لنا فلدينا هذا الآن.

ارتجفت فجأة: «أجل»

تساءلت عمّا كان سيحدث لو مضت قدماً في عزل نفسها بالعودة إلى لندن.. عندما ذكرت له ما تفكر فيه، نظر براد إليها بحزن، وقال:

- ما كان سيغير شيء مشاعري تجاهك. كنت بطريقة ما سأجدك، وأقنعك بأنك لن تتمكني من العيش بدوني. مع أنني

يجب أن أعترف أن القدر ابتسم أخيراً عندما وجدتك في «دورشستر».. وأنا آسف على كل شيء..

توقف عن الكلام هنيهة ثم أضاف:

- ليس لديك فكرة عما شعرت به عندما رأيتك فاقدة الوعي تنزفين. يومذاك صحت بوجهك بقسوة لأنك آلمتني. قلت لنفسي إنك لا تعنين ما قلته من أنك تحبينني.. ظننتك تكذبين علي.. ثم عندما هدأت، وأنا أقضي الساعات جالساً قربك في المستشفى أبتهل إلى الله أن تكوني بخير أدركت أنك قد تكونين صادقة.. تصوري ما شعرت به عندما أدركت أخيراً أنك مغرمة بي.

- وما الذي أقنعك؟

- الطريقة التي تجنبت فيها النظر إليّ عندما سألتك عما إن كنت صادقة في ما قلت هذا عدا هذا..

احتواها مجدداً بين ذراعيه وغمرها بحبه.. ولكنها شعرت بامتعاض عندما تركها ونهض.

شدها: «تعالي».

تصورت نفسها مضطرة إلى مساعدته في ري النباتات المسائي.

- إلى أين؟

ضحك: «قال الطبيب ماسترز إن من الأفضل لك قضاء يومين في الفراش.. وأنا أنوي أن أتأكد من هذا».

- لكنها الرابعة بعد الظهر!

كان نصف احتجاج، تحول بسرعة إلى همهمة مختنقة بالبهجة، التفت ذراعاها حول عنقه، وتشابكت أناملها في

www.liilas.com

شعره، ثم دفنت وجهها مجدداً في صدره، تنشق رائحته برضى.

حينما فتحت عينيها وجدته ينظر إليها بشوق كبير. فامتدت أصابعها إلى فتحة ياقة قميصه، وأنفاسها تتسارع فجأة.

- براد!

كان صوتها يحمل كل أشواقها المكبوتة وحبها له.. أحست بتجاوبه فقد توترت عضلاته وأمسكت يداه وجهها مجدداً بنظر إليه وكأنه يحفر كل قسماته في ذاكرته.

- أحبك أكثر مما تصورت أنني قادر على الحب ديلسي.. وأراني عاجزاً عن وصف مدى صعوبة إيجاد الوقت لهذا الحب.. لذلك، سأريك عملاً لا قولاً.

أعطته يدها، ثم سارت معه نحو الدرج دون أن تنفوه بكلمة.. إنها محظوظة، بل أكثر من محظوظة.

توقف في أعلى الدرج يستدير إليها. كانت ملامحه متجهمة وهو يقول برقة:

- أتعلمين.. لو رزقنا صبياً سأسميه ديرك.. أولاً للذكرى وثانياً لشكرك.

قالت بصوت مرتعش: «سيعجبني ذلك.. قال لي ديلون منذ فترة، إنني أحببت ديرك حب مراهقة.. يومذاك لم أرغب في الاعتراف، ولكنه على حق، فلم يكن ذاك حب امرأة لرجل.. وقال لي أيضاً إن ديرك لن يرغب في أن أمضي عمري في الحزن عليه وهو على حق في هذا أيضاً.. سأذكره دوماً كما تذكر أية فتاة حباً مرّ بها في مرحلة المراهقة. وشيئاً فشيئاً سأتعلم عدم الشعور بالذنب، لأنني لم أحبه وما استطعت أن

أحبه، كما أحبك».

- شكراً لك.

ولكن صوته الأجش فضح ما عنته كلماتها له. نقلت لمسة أصابعه على بشرتها إليها المشاعر التي كانت من نوع مختلف.. مشاعر جعلتها تتخلى عن كل الماضي.

ما إن حملها وسار بها إلى الفراش حتى عرفت أنها لن تحب أحداً كما تحب براد..

فيما كان يضمها بين يديه بلطف ويميل فوقها ليقبلها، أخذت تبتهل إلى الله ألا تضطرها الأقدار إلى العيش بدونه.

تمتمت: «أحبني!»

- سأفعل!

* * *

www.liilas.com